ملكية آل سرسق في فلسطين ١٨٦٩ -١٩٤٨م
The Properties of the Sarsaq Family in Palestine 1869-1948

أمين أبو بكر

جامعة القدس المفتوحة، منطقة نابلس التعليمية، نابلس، فلسطين.

بريد إلكتروني: *aabubaker@qou.edu*

تاريخ التسليم: (٩/ ٦/ ٢٠٠٣)، *تاريخ القبول:* (٢٥/ ٤/ ٢٠٠٤)

ملخص

تعالج هذه الدراسة ملكية آل سرسق التي تعد إحدى ملكيات الأراضي التي شكلها الرأسماليون اللبنانيون في فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد جاء ذلك في إطار النشاط الرأسمالي للأسرة في الأسواق التجارية المحلية والدولية من ناحية، والأزمة المالية الخانقة التي كانت تعاني منها الخزينة العثمانية والظروف والأحوال الصعبة التي كان يمر بها المزارعون في فلسطين من ناحية أخرى، وقد انتشرت في (٦٠) موقعا، واستحوذت في مساحتها على ما يقرب من (٨٠٠٠٠٠) دونم من أخصب الأراضي، وألمحت إلى المصير المحتوم الذي آلت إليه في النصف الأول من القرن العشرين بعد أن استهدفتها حملات التغلغل الصهيوني، وتمكنت من انتزاعها وذلك من خلال الإغراءات المالية التي قدمتها الحركة الصهيونية، عبر مؤسساتها الاستيطانية، ووكالاتها وأعوانها من التجار والسماسرة، وما واكب ذلك من حملات طرد منظمة مدعمة بقوة البوليس وقوانين الانتداب البريطاني الجائرة للمزارعين الفلسطينيين وهدم بيوتهم وقراهم وتخريب لمحاصيلهم لحملهم على الرحيل عنها، وبناء المستوطنات على أنقاضها وتوطين المهاجرين اليهود فيها.

Abstract

This study deals with the properties of the Sarsaq family in Palestine during the second half of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century. Their properties, considered one of the properties formed by the Lebanese capitalists in Palestine during that period, came as a result of the capitalist framework of the family in the local and international commercial markets on the one hand, the financial crisis that the Ottoman Treasury from and the severe conditions of the Palestinian farmers on the other. Their properties spread in 60 locations and consisted of about 800000 dunums most fertilized lands .In addition, they indicated the destiny of the fertile lands during the first half of the Twentieth century when the Zionist penetration campaigns targeted by Zionism through its agencies and collaborators of traders and brokers those campaigns were accompanied by organized deportation campaigns supported by the police and the unjust regulations of the British Mandate that aimed at demolishing the

homes and Villages of the Palestinian farmers and sabotaging their crops so as to make them leave their homeland and build Jewish settlements on their locations.

المقدمة

شهدت ملكية الأراضي، في فلسطين منذ عام١٨٥٨م، العديد من التحولات بعد صدور قانون الأراضي العثماني بصفته أول قانون مدني يخرج إلى حيز الوجود يعالج شؤون الملكية حيازة وتصرفا واستغلالا، ولا تزال بعض تفاعلاتها قائمة إلى يومنا هذا، ومن أهمها ظهور الملكيات الرأسمالية الكبرى، وذلك على حساب الملكيات الصغيرة والمتوسطة، وأراضي الخزينة المعطلة القابلة للاستغلال، والأراضي الموات وتحتاج إلى إحياء.

وجاء تكوين الملكيات الكبيرة بأيدي فلسطينية وغير فلسطينية من أهالي الولايات العثمانية العربية وغير العربية، معتمدة في ذلك على مقدراتها الاقتصادية والاجتماعية الضخمة التي مكنتها من دفع أثمانها، ووضع اليد عليها من خلال علاقاتها الوطيدة بمؤسسات الدولة الحاكمة المدنية والعسكرية، وتمسكها بالنظم الإقطاعية القديمة المستمدة من تراث البوادي العربية والقبائل التركية السلجوقية الوافدة من أواسط آسيا.

وبموجب التحولات الجذرية، التي شهدتها ملكية الأراضي في فلسطين، منذ صدور قانون الأراضي العثماني ١٨٥٨م، فقد تم اختيار ملكية السراسقة ميدانا للدراسة والبحث بصفتها إحدى النماذج الحية على الملكيات الكبيرة التي تشكلت بأيدي عربية غير فلسطينية.

وقد جاء اختيارها معزّزا بتوافر المصادر الأولية المحلية المختلفة، واستحواذها على معظم أراضي سهل مرج ابن عامر الذي كان يعد إحدى دعائم الاقتصاد الوطني، وخاصة في مجال إنتاج الحبوب بعامة، والقمح بخاصة، وهو ما استحق معه لقب "سلة خبز فلسطين" وعدم وجود دراسة متخصصة تعالج شؤونها بالرغم من كثافة الدراسات الفلسطينية التي تناولت مسألتي الهجرة والاستيطان والحركة الوطنية في أواخر الدولة العثمانية والانتداب البريطاني.

وقد تم عرض الدراسة في أربعة محاور أساسية، ويتمثل أولها في تكوين الملكية، وتم التركيز فيه على قوة السراسقة الاجتماعية، والاقتصادية، والعوامل الطبيعية والبشرية، ومن

أهمها زلزال عام ١٨٣٧م، والتقلبات المناخية الخارجة عن المألوف وغزوات الجراد والأوبئة الجارفة وغارات القبائل البدوية، وتنظيمات الأراضي العثمانية، وانكسار الضرائب، وتفشي الجهل والفساد، في حين أفرد المحور الثاني لمعالجة حجم الملكية، وتم التركيز فيه على أمرين، الأول: انتشار الملكية في المواقع المأهولة المدنية، والريفية، والبدوية التي تجاوزت الـ (٦٠) موقعا، والثاني: نطاقات المساحة التي امتدت فيها والتي فاقت الـ (٨٠٠٠٠٠) دونم على أدنى تقدير.

أما المحور الثالث، فقد خصص لمعالجة التحولات التي انتابت الملكية، وتم التركيز فيه على حملات التغلغل الاستعمارية التي استهدفتها بين عام ١٨٩٠ -١٩٤٨م، وما واكب ذلك من شراء للأراضي، وترحيل للمزارعين العاملين فيها، واجتثاث لمحاصيلهم، وتدمير لبيوتهم في القرى والمخيمات البدوية وتسويتها بالأرض، وبناء المستوطنات على أنقاضها، في حين أفرد المحور الرابع لعرض أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

أولاً: تكوين الملكية

أ. أسرة السراسقة

ينتمي السراسقة إلى أسرة مسيحية أرثوذكسية المذهب[١]، تعود، في جذورها، إلى أصول يونانية مهاجرة استقرت في قرية البربارة التابعة لمتصرفية جبل لبنان، وكانت النواة

(١)تنويه:سوف يشار لسجلات المحاكم الشرعية لكل من القدس الشرعية، ونابلس، والخليل، ويافا، وحيفا، على النحو الآتي: اسم المدينة، والى جانبه رقم السجل والصفحة. وعلى سبيل المثال لا الحصر القدس٣٢٣، ص١٣٧. أما الصحف المتمثلة في الاتحاد العثماني، والبشير، والبيان، والجامعة الاسلامية، والجهاد، وفلسطين، والكرمل، والكوكب، والمقتبس، والوقائع، فقد تم الاشارة اليها باسم الصحيفة وإلى جانبه العدد وذلك بهدف الاحاطة بها نظرا لكثافة مادتها المتعلقة بالموضوع. وعلى سبيل المثال لا الحصر الجهاد١٧٠، ص١.

الأولى لأسرة الصايغ، وفي مطلع القرن التاسع عشر، هاجر أحد أبنائها الملقب بسرسق إلـى بيروت، واستقر فيها مشكلا بذلك أسرة جديدة تحمل الاسم نفسه.

انخرط سرسق وأبناؤه في النشاط التجاري الرأسمالي المتنامي في بيروت، فعملوا وسطاء تجاريين مهرة في تصدير المحاصيل الزراعية، وغزل الحرير، والأعمال المصرفية في بيروت(٢)، كما فتحوا عددا من المقرات التجارية في المدن الساحلية، وادخلوا زراعة القطن إلى منطقة الأغوار(٣). ونتيجة لذلك، تمكنوا من إنشاء شركة استثمارية ضخمة حازت على التزام ضرائب جبل لبنان من الحكومة العثمانية، والمساهمة في تعبيد طريق دمشق بيروت ١٨٦٣م، وشق قناة السويس ١٨٦٩م، الأمر الذي هيأ لهم العمل في السلك القنصلي الأجنبي في بيروت، وعقد مصاهرات متعددة مع العائلات المتنفذة في بلاد الشام، وتمثيل متصرفية جبل لبنان في مجلس المبعوثان العثماني، واحتلال مكانة مرموقة في المجتمع والهيئات الإدارية العثمانية المدنية والعسكرية، وإقامة علاقات وثيقة مع الشريف حسين بن علي في الحجاز(٤).

---

(٢). المعلوف، عيسى اسكندر(ت١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) "دواني القطوف في تاريخ بني معلوف"، (المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، ١٩٠٨م). ص١٩٠-١٩١. الدباغ، مصطفى مراد، "بلادنا فلسطين"، (دار الطليعة للطباعة والنسشر، بيروت لبنان، ١٩٧٢م) ج١، ص٥١، ج٧، ص٤٩. شولش، الكزانر، "تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢"، ترجمة كامل العسلي، "(الجامعة الاردنية، عمان، الاردن، ١٩٨٨م) ص١٣٨-١٣٩.رافق، عبد الكريم، "فلسطين في عهد العثمانيين" (الموسوعة الفلسطينية ج٢، بيروت لبنان١٩٩١م)، ص٩٥١.افنيري، اريه، "دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي والعربي ١٨٨٧-١٩٤٨م"(ترجمة بشير البرغوثي، دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية، عمان الاردن، ١٩٨٦م) ص٦٥.عوض، عبد العزيز محمد، "مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١-١٩١٤"، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م)، ص١٣٨.

(٣)يافا٦٣، ص١٤٤.الكرمل١٤٦٩، ص١.

Oliphant, Laurence: "The Land of Gilead With Excursion in the Lebanon", (Edinburgh and London, 1882) P.52. Conder, C.R, "Tent Work in Palestine", (2Vols, London, 1878)., Vol.1, PP. 165-168

(٤) المعلوف، ص٣٩٠-٣٩١. الكرمل٦٧٣، ص١.الكرمل١١٠٠، ص٤. جنين٨، ص٧-٨.جنين٩، ص٦٠-٦١.جنين١٤، ص٣٢، ٦٠.جنين١٧، ص١٢-١٤، ١١٦. اليرموك٢٥، ص٢. فلسطين٢٢٩، ص١.الكرمل١١٠٠، ص٤.الحكيم، حسن، "سورية والعهد العثماني" (المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان، ١٩٦٥م) ص ٢٥٠. رافق، ص٩٥١.

وبالرغم من تمتعهم بالجنسية العثمانية، فقد دخل السراسقة تحت الحماية الفرنسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد جاء هذا الإجراء على خلفية الحرب الأهلية التي شهدها جبل لبنان عام ١٨٦٠م بين الطائفتين الدرزية والمسيحية، وانحياز فرنسا للطائفة المسيحية، كما وطدوا علاقاتهم مع الهيئات الإدارية العثمانية، وبموجب ذلك، حصلوا على العديد من الامتيازات، وفي مقدمتها شراء الأراضي المحلولة -التي فسخ عقد تصرفها- وتجفيف المستنقعات في سهل البقاع وبحيرة الحولة(٥).

وعلى ما يبدو، فإن الحياة المترفة، التي عاشها بعض أعيان السراسقة، قد بدد قسما كبيرا من ثروتهم، وفي مقدمتها الأراضي، وهو ما دفع بهم للهجرة من لبنان إلى مصر، وفرنسا، والولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر(٦).

وبموجب عقود البيع والشراء، فقد تركزت ملكية الأراضي في أيدي (٢٧) شخصا وهم أبناء سرسق الخمسة وأحفاده، وذلك كما هو مبين في الجدول رقم(١).

ب. *عوامل التكوين*

بدأت النواة الأولى لملكية السراسق بالتكوين عام ١٨٦٩م، وذلك عندما تمكنوا من شراء (٢٣٠٠٠٠) دونم من الحكومة العثمانية في صفقة واحدة في مرج ابن عامر مقابل (٨) قروش للدونم، ومن ثم انطلقوا لعقد صفقات جديدة مع الحكومة وتجار الأراضي وسماسرتها وصغار المزارعين(٧)، وجاء ذلك نتيجة للعوامل الطبيعة والبشرية الآتية:

---

(٥) دفتر(٣٨) الناصرة، ص٩.جنين٨، ص١٣.المعلوف، ص١٠٤، ٣٩١.الجهاد١٧٠، ص١."جريس، صبري"، تاريخ الحركة الصهيونية"(مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م).ص٢٧٨.شولش، ص٧٠، ٣١٧.افنيري، ص ٦٥.الكرمل١٠٣٠، ص١.الكرمل١٤١٣، ص٥.اليرموك٢٥، ص٢.

(٦) دفتر (٣٨)الناصرة، ص٩.افنيري، ص٦٥.عوض، مقدمة، ص١٣٨.

(٧) جنين٨، ص٩-٢٨. جنين٩، ص٦٥-٧٥. جنين١٧، ص١٠-١١٦. الاتحاد١٣٩، ص٢.الكرمل١٤٦٩، ص٨.نيوتن، ص٢٠٤. الدباغ، ج٧، ص٤٩، ١٤٢."البديري، هند أمين، "اراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ"، (الأمانة العامة، جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م)، ص٢٤٠.افنيري، ص٦٥، ١٠٩.شولش، ص١٣٩. Conder, Tent, Vol, P.165.Olihpant, PP. 328

جدول (١): سلسلة أسرة آل سرسق[٨] (سرسق الصايغ) ⮟ جبل لبنان ⮟ البربارة ⮟ بيروت ⮟

⮟**يوسف سرسق**	⮟**إبراهيم سرسق**	⮟**لطف الله سرسق**	⮟**موسى سرسق**	⮟**خليل سرسق**
⮟	⮟	⮟	⮟	⮟
نجيب يوسف	الياس إبراهيم	جرجي لطف الله	جرجي موسى	نخلة خليل
البير يوسف	مشيل إبراهيم	نقولا لطف الله	الفرد موسى	جبران خليل
جرجي يوسف	نقولا إبراهيم		نخلة موسى	شارل خليل
	نخلة إبراهيم			فكتور خليل
	⮟ **نقولا إبراهيم**	⮟ **جرجي لطف الله**		ايله خليل
	اسكندر نقولا	⮟		
		وليد جرجي		
		هنري جرجي		
		يوسف جرجي		
		لطف الله جرجي		

١. العوامل الطبيعية

أ. زلزال١٨٣٧م

أسهم الزلزال المدمر، الذي ضرب شمال فلسطين ١٨٣٧م، إسهاما كبيرا في تشكيل الملكية، وذلك من خلال زعزعته لأواصر العمران، وإحالة العديد من المواقع المأهولة الريفية والمدنية إلى ركام على رؤوس ساكنيها، وإثارة الفزع والرعب في نفوس من سلم منهم، وحملهم على الرحيل إثر تصدع منازلهم، وتشكل الانهدامات في محيطها، واختفاء العديد من الناس فيها، وفقدان ذويهم، وتفشي الأوبئة نتيجة لشح الأقوات، وسيادة البرد القارص، وتعفن الجثث، وشيوع الهوام والقوارض والطيور الجارحة، وهو ما دفع بالناجين على الرحيل،

(٨) المعلوف، ص١٠٤. دفتر(٣٨) الناصرة، ص٩.جنين٩، ص٤٨-٦٨. جنين١٧، ص١١٦.نابلس٢٣، ص١٧١-١٧٦.الكرمل٦٧٣، ص١. الكرمل ٧٠، ص ٢. الكرمل ١٤٦٧، ص٨ .الكرمل١٤٦٩، ص٨.

وترك بيوتهم ومزارعهم خاوية على عروشها[٩].

وتتضح أبعاد الدمار، الذي حل بالمواقع المأهولة المدنية والريفية، من خلال التقارير التي رفعتها الإدارة المصرية في بلاد الشام إلى القاهرة حول الخسائر الفادحة التي لحقت بالأرواح والممتلكات في المنطقة، ففي مدينة الناصرة، على سبيل المثال، دمر (٤٢٤) بيتا أي ما يوازي٥٣%من بيوتها تدميرا كاملا، ولم تسلم البقية الأخرى من التصدعات والعطب، كما فقدت (١٢٦) شخصا من سكانها، في حين تحول العديد من القرى إلى قبور جماعية نتيجة تواضع مستوى أبنيتها من ناحية، وتجمع غالبية سكانها عند غروب الشمس على مائدة الإفطار في شهر رمضان، ناهيك عن الإصابات البليغة التي مني بها السكان خارج منازلهم جراء تشكل الصدوع الأرضية والانهيارات[١٠].

ونتيجة لحالة الفزع، التي أحدثها الزلزال في نفوس السكان، واختلاطها بالأدبيات الشعبية، غدت المواقع الريفية الآيلة للخراب نذير شؤم ورعب يستدعي الرحيل عنها، وذلك بعد أن اتخذت منها الغربان والبوم أوكارا لها[١١]، وبالتالي، فإن إعمارها ظل مرهونا بقدوم موجة سكانية وافدة تفتش عن مأوى مناسب لها بسرعة، وسياسة النقل السكاني التي انتهجتها

(٩) ستم، اسد، "المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصدها"، (٤م، بيروت، لبنان، ١٩٤٠م) م٣، ص٢٠٨.القدس٣٢٣، ص١٣٧. القدس ٣٢٤، ص٥٦-٥٧. نابلس٩، ص١٢١، ٣٤٢. يافا١٢، ص١٤. دفتر(١١) تحقيقات، ص١-٥. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص١-٤٢. منصور، اسعد، "تاريخ الناصرة"، (القاهرة، مصر، ١٩٢٤م)، ص٨٠.Conder, Tent,Vol.2, 314.

(١٠) رستم، المحفوظات، م٣، ص٢٠٨.منصور، ص٨٠.

(١١) تعد طيور البوم والغراب من أسرع الوسائط لنقل الأمراض والأوبئة وفي مقدمتها الطاعون بسبب افتراسها للجرذان والفئران الموبوءة من بين الخرائب ونهشها للجيف وتعرضها للسع الحشرات والطفيليات المسببة للمرض وهو ما جعلها نذير شؤم وخوف في الحياة العامة ومجالا رحبا للأساطير في الأدب الشعبي منذ العهد الجاهلي ومن هذا المنطلق اجاز الرسول صلى الله عليه وسلم قتل الغراب داخل الحرم اثناء فترة الاحرام: -العسقلاني: احمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ) "فتح الباري بشرح صحيص البخاري"، ١٣ج، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م)، ج٤، ص٣٤-٤١. مقابلة شخصية، محمد خليل حمارشه، ٩١سنة، يعبد، ١٩٩٩/١١/٢٠م.

الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لحل الخلافات المستعصية بين السكان، وتخفيف الازدحام السكاني على أطراف المدن، حيث كانت تعمد إلى نقل أحد أطراف الصراع إلى إحدى الخرائب القائمة، وذلك بهدف إعمار أكبر مساحة ممكنة من الاراضي المعطلة[١٢].

ب. التقلبات المناخية

تعد التقلبات المناخية من أبرز العوامل التي أسهمت في تشكيل ملكية السراسقة في فلسطين، وعلى وجه التحديد عند خروجها عن الحد المألوف، فهطول الأمطار الغزيرة، وسوء توزيعها لا يقل تأثيره عن الجدب والجفاف نظرا لتشكل الأوحال والمستنقعات في أراضي سهل مرج ابن عامر التي كانت تحول دون ممارسة الأعمال الزراعية المختلفة القائمة على طاقة الحيوانات المتواضعة، وذلك قبل دخول الآلة إلى ميادين العمل، وغمر المحاصيل وإتلافها، ولا تزال ذاكرة المعمَّرين تزخر بالحوادث المأساوية التي حلّت بالمزارعين وعابري السبيل عند عبورهم لسهل المرج بين مدينتي جنين والناصرة بعد أن تورطوا بالأوحال العميقة إثر هطول الأمطار الغزيرة[١٣].

وفي ظل الأمطار الغزيرة السيئة التوزيع، كانت نطاقات واسعة من أراضي المرج تتحول إلى مستنقعات، ولم تجف إلا في أواخر فصل الربيع، وبالتالي فإن إمكانية زراعتها قد فات أوانها بسبب عدم صلاحيتها للحراثة، وقدرة الحيوانات العاملة على الجر، وارتفاع الأعشاب البرية التي طغت عليها ودرجة تماسك جذورها، ودرجة احتفاظها بالرطوبة. وفي مثل هذه الحالة، كان المزارعون يضطرون لاستلاف القروض الربوية من شيوخ القرى

---

(١٢) دفتر (١١) تحقيقات، ص١-٥٢. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص١-٤٢. يافا١٧، ص2.

Conder. C.R., and Kitchener, R.E,"Map of Palestine in 26 Sheets from Surveys Conducted for the Palestine Exploration Fund, During the Years1872-1877", (1:63360 Mile, London,1880), Sheet.8-10 Finn, James: Stirring Times ,or Recorda from Jerusalem Consular Chronnicles of 1853 To 1856, 2Vol., London, 1878. Vol. 2, P.209, 301-391.

(١٣) مقابلة شخصية، مسعود أبو بكر، ٩٢سنة، يعبد، ٢٠٠٢/٢/٢٤م.

والبنوك وتجار المدن وأفنديتها لتغطية نفقات شراء البذار والأعــلاف اللازمـــة لحيوانـــاتهم العاملة في الموسم القادم(١٤).

ولم تتوقف أضرار الأمطار الغزيرة عند تعطيــل الأرض، بــل أســهمت عواصــفها وصواعقها في تقويض أسس العمران في بعض المواقع(١٥) كما حل في قرية تل عدس عندما ضربتها صاعقة مدمرة يوم الجمعة ١٩٠٨/٢/٥م، مما أدى إلى تدمير جميع بيوتها المؤلفــة من (٤٠) عقدا، ولم ينج من سكانها البالغين (٩٠) مزارعا سوى رجل وامرأة ونفوق (١٣٠) رأسا من الأبقار، و(٣٠) رأسا من الخيول والبغال والحمير(١٦).

ونتيجة لموجة الجفاف، التي تعرض لها شمال فلسطين، إبــان عــام ١٨٧٠/١٨٦٩م، توقف النشاط الزراعي في سهل مرج ابن عامر بالكامل، الأمر الــذي جعــل المــزارعين عاجزين عن الوفاء بحاجتهم من الأقوات، وتسديد الضرائب المترتبة على أراضيهم للخزينـــة والقروض الربوية التي استلفوها لتغطية عجزهم، وهو ما دفع بالخزينة لطرحها في المـــزاد العلني حيث رست مزايدتها على السراسقة(١٧).

وعلى صعيد آخر، فان التباينات الحادة في درجات الحرارة، وخروجهـــا عـــن الحـــد

---

(١٤) دخلت المعدات الآلية إلى ميادين العمل الزراعي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر باستثناء الجرارات الزراعية التي تأخرت حتى١٩٢٠م: نابلس١٤، ص٣٢٣-٣٢٥. القدس٣٧٨، ص٥٤١. اليرموك١٢٣، ص١. فلسطين، ٤٧٦ص ١٤. فينري، ص ١٨٦.

(١٥) قارن بين كل من التالية: القدس ٣٤٤، ص ١٠٤. القدس ٣٤٧، ص١٩١- ١٩٤، ٣٧٣. القدس ٣٦٩، ص٥٧. القدس ٣٩٣، ص ١٤. القدس ٣٩٧، ص ١٦٨. القياتي، ص٩٦-٩٧. الاتحاد ١١٤، ص ٢. الاتحاد ١٤٩، ص ٢-٣. الجامعة ٧٢٨، ص ٩. الجامعة ٧٥٥، ص ٣. الجامعة ٨٤٣، ص ٥. الجامعة ٩٤٨، ص ٦. الجامعة ١٠١٨م، ص٤. اليرموك ٤٥، ص ٣. التميمي، ص ٢٤٢. افنيري، ص ٤٦-٤٧. الدباغ، ج٧، ص ١٤٦. Conder and Kitchner, Map.Sheet 1-8

(١٦) تل عدس: تقع في سهل المرج على بعد (٥) كم إلى الجنوب من الناصرة: الكرمل ١٤١٢، ص٦.

(١٧) اليرموك ٦٩، ص ٣. اليرموك ٧٠، ص ١. الجامعة ٨٣٦، ص ٥. الجامعة ٨٤٣، ص٥. الجامعة ١٠٢٩، ص ٥-٧. شولش، ص ١٠٥. أبو بكر، ٨٧.

المألوف، ووصولها[١٨] إلى ما دون الـ (٠ م) شتاء، و(٤٥ م) صيفا، وهو ما لم يلتفت إليه الباحثون المحدثون ممن عالج شؤون الملكية، وغالبا ما عمل ذلك على خلخلة الملكيات الصغيرة والمتوسطة لصالح ملكية السراسقة نظرا لما كان يحل بالمحاصيل من خراب جراء تشكلات الانجماد والصقيع، وتراكم الثلوج، وانتشار الآفات والأمراض الجارفة، وشيوع الهوام والقوارض وتقزيم النمو الخضري وشبوب الحرائق[١٩].

ج. غزوات الجراد

تعرضت فلسطين عام ١٨٦٦/١٨٦٥م لأعنف غزوة جراد في القرن التاسع عشر، وكانت من الشدة إلى حدٍّ أصبح الناس يؤرخون بها، وينعتونها ب"سنة الجراد"حيث رعت فراخه الزاحفة كل خضراء ويابسة، وبذلك ذهبت جهود المزارعين أدراج الرياح[٢٠]، ثم عاد وغزا المنطقة مرة أخرى عام١٨٧٨م، إلا أن تأثيره كان محدودا، لأن جزءاً من المحاصيل قد تم حصادها[٢١]، وفي عام١٩١٦م، وبالرغم من ظروف الحرب العالمية الأولى الصعبة، غزت أسرابه فلسطين في موجة قل نظيرها[٢٢] ولا يزال بعض المعمَّرين يذكر تلك الموجة التي كانت من الكثافة إلى درجة دفعت فراخه الزاحفة إلى أكل الأخضر واليابس، ولم تسلم منه أبواب المحلات الخشبية، كما زلق بها وببيضها المارة في الطرقات[٢٣]، وهو ما ساعد على نقل مساحات من الأراضي إلى السراسقة وغيرهم من كبار الملاكين.

---

(١٨) مقابلة شخصية، معروف الأشقر، ١٠٢ سنة، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.

(١٩) العورة، إبراهيم، "تاريخ ولاية سليمان باشا العادل"، تحقيق قسطنطين الباشا المخلصي، (مطبعة دير المخلص، صيدا، لبنان، ١٩٣٦م). ص٤٥٦-٤٥٧. الخليل ٣، ص١٣٢. نابلس١٧، ص٤١٢-٤١٣. يافا٥٩، ص٩٥-٩٦. يافا١٦٦، ص٢٧٥. يافا ١٩٦، ص١٧١. البشير ٨٥٤، ص ٣. البشير ٢٥٠٨، ص٣. فلسطين ١٨٥، ص١. الكرمل ١٢٢٣، ص ٦. أبو بكر، ص ٧٥-٩٩.

(٢٠) الخليل ١، ص ١٠٥. شولش، ص ١٠٨.

(٢١) البشير ٤١٤، ص ٤.

(٢٢) يافا ١٦٦، ص ٢٧٥. المقتبس١٥٨٧، ص١. البيان ٥٤٦، ص ٤. الدباغ، ج ١، ص ١٥٨-١٦١.

(٢٣) مقابلة شخصية، معروف الأشقر، ١٠٢ سنة، يعبد، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.

د. الأمراض الجارفة

أسهمت الأوبئة الجارفة، التي كانت تصيب السكان وحيواناتهم بعامة، والعاملة بخاصة، في زعزعة أواصر الملكية الصغيرة والمتوسطة في شمال فلسطين لصالح ملكية آل سرسق، وذلك نتيجة للموت الجماعي الذي كان يذهب ضحيتها، وكانت تلك الأمراض تعمل على تقزيم حركة النمو السكاني من ناحية، ومصدر طاقة الجر التي يمتلكها المزارعون من ناحية أخرى، فوباء الكوليرا، الذي تفشى بين السكان، وتزامن مع غزوات الجراد عام ١٨٦٦/١٨٦٥م، وتركزت فعالياته في شمال فلسطين، حيث انتشرت ملكية السراسقة، أوقع خسائر فادحة في الأرواح[٢٤] كما لحقت بهم خسائر فادحة إثر تفشي وباء الطاعون ١٨٧٨/١٨٧٧م والكوليرا ١٩١٦م[٢٥].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن أهم عقبة واجهت النشاط السكاني كانت في سهل المرج، حيث تركزت ملكية السراسقة الحميات بعامة، والملاريا بخاصة، جراء تشكل المستنقعات في أطرافه نتيجة لهطول الأمطار الغزيرة والغدران المنتشرة في بطن وادي المقطع، والعيون، والينابيع. وما تزال الحميات ومن ذهب ضحيتها من السكان، في عشرينيات القرن الماضي، عالقة في أذهان المعمَّرين من أبناء القرى المحيطة به، بل إن عين السمونية عرفت بهذا الاسم ظنا منهم أن كل من شرب منها مصيره الموت، وذلك في ضوء تواضع الخدمات الطبية[٢٦].

أما على صعيد الحيوانات العاملة، باعتبارها مصدر طاقة الجر الأساسية، قبل دخول الجرارات الزراعية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع العشرين[٢٧]، فان تفشي الأوبئة

(٢٤) شولش، ص ٤٣-٤٤، ٥٥. أبو بكر، أمين، "ملكية الاراضي في متصرفية القدس١٨٥٨-١٩١٨م"، (مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان الاردن، ١٩٩٦م)، ص١٤٦.

(٢٥) الكوكب ١٢٢، ص ٦-٧. شولش، ص ٥٥. أبو بكر، ص ١٤٧.

(٢٦) عين السمونية: تقع الى الغرب من الناصرة بالقرب من القرية التي تحمل اسمها: - مقابلة شخصية، مسعود أبو بكر، ٩٢سنة، يعبد، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.

(٢٧) اليرموك ١٢٦، ص ٢.

بين قطعان المواشي كان يعمل على إبادتها في بعض الأحيـــان[(٢٨)]، نتيجـــة لقلـــة العنايـــة البيطرية[(٢٩)] كالطاعون البقري على سبيل المثال[(٣٠)]، كما كان يعمل على شل حركة النـــشاط الزراعي، وتعطيل نطاقات واسعة من الأرض، وهو ما كان يدفع بالمزارعين إلى اســـتلاف القروض الربوية لتغطية أثمانها المرتفعة بعد أن غدت سلعة رائجة بيد الجلابة مـــن التجـــار واللصوص[(٣١)].

٢. العوامل البشرية

أ. غارات القبائل

تعد غارات القبائل البدوية الوافدة والمحلية، من أهم العوامل البشرية التي عملت علـــى زعزعة بنى الملكية الصغيرة لصالح السراسقة وغيرهم في شمال فلسطين، وكانت غاراتهـــا تنطلق في معظمها من البوادي الأردنية والسورية وغور بيسان وطبرية، وغالبا ما جاء ذلك في إطار البحث عن مراعي جديدة بسبب القحط الذي انتاب ديارهم، وتقديم نجدات للأطراف المتحاربة المحلية تحت شعار قيس ويمن[(٣٢)] وربما لا نبالغ إذا قلنا إن تاريخ ســـهل المـــرج، الذي تركزت فيه ملكية السراسقة، قد اقترن إلى حد كبير بين أعوام ١٨٤١ -١٨٧٠م بغارات القبائل البدوية[(٣٣)].

---

(٢٨) مقابلة شخصية، معروف الأشقر، ١٠٢ سنة، يعبد، ٢٤ /٢٠٠٢/١١م. مقابلة شخصية، مسعود أبو بكر، ٩٢، يعبد، ٢٤ /٢٠٠٢/١١م.

(٢٩) القدس٤١٣، ص ٦٣. نابلس ٤٧، ص ٣٣٥. الخليل١٨، ص٧٧ -٧٨. الخليل٢١، ص٤٩ -٥٠. مقابلة شخصية، مسعود أبو بكر، ٩٢، يعبد، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.

(٣٠) البشير ١٦٣٥، ص ٤. الوقائع ١٩٢٦/٨/٤م، ص ٥٦٢، ٦٠٠. الوقائع ١٧٣، ص ١ -٣.

(٣١) القدس٤٠٧، ص٦٧. الخليل١٧، ص٧٢ -٧٣. مقابلة شخصية، مسعود أبو بكر، ٩٢، يعبد، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.

(٣٢) دفتر (١١) تحقيقات، ص١ -٥٢. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص١ -٤٢. افنيري، ص٤٥.
Tristram, Israel, P. 488. Palestine Exploration Fund Quartery Statement, ''PEFQS'', 1878 (London, 1878), PEFQS, 1878, P.11.

(٣٣) دفتر (١١) تحقيقات، ص ٤٥ -٥٢. الكرمل ١٠٣٠، ص ١. الكرمل ١٤٦٩، ص ٨.
Tristram. H. B the Land of Moab, London, 1873., P.482. PEFQS,1870, P.18.Conder, Vol.2, P.112

وقد استغلت القبائل البدوية حالة الفوضى، التي أعقبت انسحاب الجيش المصري١٨٤١م، وضعف السلطة المركزية العثمانية في المنطقة، وانشغالها في إعداد البرامج الإصلاحية، ومواجهة الجيوش الطامعة على حدودها، فقامت بشن غاراتها على سهل المرج بين فترة وأخرى حتى عام١٨٧٠م. ونتيجة لذلك، أجهزت على المواقع الريفية المأهولة التي لم تجهز عليها العوامل الطبيعة[٣٤]، وأحالت الغالبية العظمى من أراضيه إلى خراب[٣٥].

وقد حاولت الدولة العثمانية، بعد فرض نظام الحكم المركزي ١٨٦٤/١٨٦٥م، الشروع بحملة إعمار واسعة في سهل المرج وسهول غور بيسان، إلا أن جهودها تعرضت للانتكاس على يد قبيلة بني صخر الأردنية ١٨٧٠م، ولم تتمكن من وضع حدٍّ لهجمات القبائل إلا من خلال فرض نظام الحكم المركزي، وتسيير دوريات منتظمة من الجيش معززة بأسلحة ميدانية متطورة تفوق أسلحة البدو الشخصية، وبناء قلاع عسكرية متقدمة للحراسة[٣٦].

ب. *تنظيمات الأراضي العثمانية*

صدر قانون الأراضي العثماني عام١٨٥٨م، وهو أول قانون مدني يخرج إلى حيز الوجود يحكم شؤون الأراضي حيازة وتصرفا واستغلالا، بعد أن حكمتها النظم الإقطاعية البالية والعادات والتقاليد البدوية المستمدة من تراث البوادي[٣٧]، وعززته الدولة العثمانية

---

(٣٤) دفتر (١١) تحقيقات، ص ٤٠. الكرمل١٤٦٩، ص ٨. Conder and Kitchener,

(٣٥) الكرمل ١٠٣٠، ص١. Conder,Vol.2,P. ١٢٢

(٣٦) دفتر (١١) تحقيقات، ص١-٥٢. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص١-٤٢. البشير ٧٧٧، ص ٣. الاتحاد ١٧٢، ص ٣-٤. الكرمل ١٤٦٩، ص٨. عوض، عبد العزيز محمد، "الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤-١٩١٤م"، (دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦٩م)، ص٦٦-٦٧، ٧١ أبو بكر، ص١٢١. Conder,Vol.2,P.122.

(٣٧) "قانون الأراضي"، (في: من الدستور الجديد، نقولا أفندي النقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٢٩٠ /١٨٧٣م، ص ٣-٥٨.) المادة (١-١٣٢). لائحة تعليمات بحق سندات الطابو: في: (من الدستور الجديد، نقولا أفندي النقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٢٩٠ /١٨٧٣م، ص ٧٣-٨٣) البند (١-١٦)."نظام الطابو": في: (من الدستور الجديد، نقولا أفندي النقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٢٩٠ /١٨٧٣م، ص ٥٩-٧٣) المادة (١-٣٣).

بنظام الطابو عام١٨٥٩م، وملاحقه، والعديد من الشروحات التي اقتضتها ظروف الحال[٣٨].

وبالرغم من النتائج الإيجابية، التي ترتبت على تطبيقات نظم الأراضي في فلسطين، منذ ١٨٦٩م[٣٩]، إلا أنها تضمنت بعض الثغرات التي أسهمت في زعزعة بنى الملكيات الصغيرة لصالح الملكيات الكبيرة، وفي مقدمتها ملكية السراسقة، وذلك من خلال تأكيدها على نمط الملكيات المشاعية أو الجماعية، وعدم إبرازها للملكية الفردية بمفهومها الواسع، وتقضي باشتراك مجموعة من المزارعين في مساحة من الأرض بنسب محددة يتم توزيعها فيما بينهم سنويا، وذلك وفق متطلبات الدورة الزراعية، وطبيعة المحاصيل التي تزرع فيها الشتوية منها والصيفية، وعدد المحاريث التي يمتلكها المزارع، ويشدها على أفدنته[٤٠]، وهو ما يعرف باسم "مشد السكة "وكان يندرج تحت هذا التصنيف جميع أراضي مرج ابن عامر حيث تركزت ملكية السراسقة[٤١].

وتتضح أبعاد الملكية المشاعية في نصوص المادة (٢٥) من قانون الأراضي التي قيدت المزارعين بزراعة أصناف محددة من المحاصيل الحقلية الموسمية غير الثابتة، وإلزام كل من زرعها بالأشجار دون إذن مأمور الأراضي، أو الطابو أن يقتعلها قبل مضي ثلاث سنوات من زراعتها، وإذا ما بقيت في الأرض وتجاوزت الثلاث سنوات، ووصلت إلى حد

---

(٣٨) قانون الأراضي، المادة (١-١٣٢).عوض، الادارة، ص٢٠-٢٩، ٢٢٧-٢٢٩. مقدمة، ص١٠٨-١٠٩.

(٣٩) القدس ٣٥٤، ص ٨٠-٨٤. القدس ٣٦٢، ص ٢٦-٣٦. نابلس ٢٠، ص١٩١-١٩٣. نابلس ٤٠، ص ١٠٨. دفتر (١١) تحقيقات، ص ١-٥٢. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص١-٤٢. أبو بكر، ص ٥١٣-٥١٤.

(٤٠) دفتر (١١) تحقيقات، ص١-٥٢. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص١-٤٢. الكرمل ١٨٠٢، ص١.

(٤١) مشد السكة: مصطلح عثماني ويدل على مساحة الأرض التي يمكن للفدان المؤلف من زوج من الثيران حراثتها في موسم زراعي بمحاصيلها الشتوية والصيفية إلى جانب الأرض المتروكة للاستراحة وتتراوح مساحتها مابين (٢٠٠-٥٠٠) دونم وذلك حسب طبيعة الأرض ودرجة خصوبتها ففي السهول يصل إلى (٢٠٠) دونم والجبال (٥٠٠) دونم: - دفتر تحقيقات، ص١-٥٢. دفتر (١٢) كشف مزايدة، ص١-٤٢. القدس ٣٧٩، ص ١٠٦. الكرمل ١٤١٢، ص ٦. الكرمل ١٨٠٢، ص١.

Dalman, G. H.: "*Gegenwartiger Bestand Des Judischen Colonien in Palastin* ZDPV, Vol.16, PP. 193-202, pp36-38.

Bergheim, Samuel: "*Land Tenur in Palestine*", in PEFQS, "1894" P. 193.

الإثمار يجري عليها حكم الأموال المنقولة، وتعود ملكيتها للمزارع، ولا تلحق بالأرض التي تعود ملكيتها للخزينة[٤٢].

وتكريسا لنظام المشاع على الأرض، اتبعت لجان المسح والتسجيل، التي انطلقت في فلسطين على نطاق واسع عام ١٨٦٩م، أسلوبا بسيطا في عملياتها الميدانية، وكان يقوم على أساس تقسيم أراضي الموقع المأهول إلى مجموعة من المقاسم تحددها مساحة أراضيه، وسعة انتشارها، وبعدها عن أطراف العمران، وعدد الحمايل، والعشاير، والعائلات المتصرفة بها، وشدة التنافس فيما بينها، ومواضع سكنها في الحارات، والأحياء، والمضارب، وتحزباتها القيسية واليمنية، ومن ثم، تحديد مساحاتها على وجه التخمين وتسجيلها بأسماء المزارعين المالكين للمحاريث في مسوَّدات الدفاتر، وتسجيلها في الدفاتر الأصلية المحفوظة في دائرة الطابو، ومكاتبة نظارة الدفتر الخاقاني في اسطنبول لمنحهم القواشين - سندات الملكية - أو القواجين[٤٣] في حين ترك أمر تقسيمها السنوي وتوزيعها بالقرعة بيد الوجهاء والشيوخ والمخاتير[٤٤]، الأمر الذي أجج خلافات مريرة بينهم، وهو ما دفع المزارعين إلى مطالبة الحكومة العثمانية، والانتداب من بعدها، بإفرازها وتسويتها من جديد[٤٥].

ومما لاشك فيه، أن نظام المشاع قد عمل على زعزعة الملكية الصغيرة في فلسطين، الأمر الذي جعل منها طعما لنمو الملكيات الكبيرة، وفي مقدمتها السراسقة. ومن الشواهد الحية على ذلك أراضي قرية نورس البالغة (٢٧١٦٤) دونماً على وجه التخمين، وتمتد في ست قطع موزعة على (١٠٤) مزارعين، أي ما يوازي (٢٦١) دونماً للمزارع تنتشر في

(٤٢) قانون الأراضي، المادة (٢٥).
(٤٣) نظام الطابو، المادة (١). دفتر (١١) تحقيقات، ص١-٥٢. جنين ١٧، ص ١١٦. عوض، الادارة، ص٢٠-٢٩، ٢٢٧-٢٢٩. مقدمة، ص١٠٨-١٠٩.
(٤٤) دفتر (٢) اذنبه، ص١-١٥. دفتر (١) التينة، ص١-٢.
(٤٥) دفتر (٢) اذنبه، ص١-١٥. دفتر (١٢) كفرلام، ص ١٣٣-١٣٨. الجامعة ١٠١٧، ص ٧. عوض، الادارة، ص٢٠-٢٩، ٢٢٧-٢٢٩.مقدمة، ص١٠٨-١٠٩.جولة ميدانية، في قرية عربونه، ١٩٩٩/١١/٢٥م.

جميع القطع بالتساوي، وحسب التوازن العائلي قسمت إلى (٢٦) حصة، سميت كل حصة باسم العائلة المتصرفة بها، وقد بدأ السراسقة وشركاؤهم بالتغلغل في أراضيها عام ١٨٨١م إلى أن احكموا قبضتهم عليها عام١٩١٣م، وجاء ذلك بعد إعمارها من قبل الدولة بنحو (١٠) سنوات، إثر الخراب الذي حل بها على يد القبائل البدوية[٤٦]. كما هو مبين في الجدول رقم(٢).

جدول (٢): مشتريات آل سرسق وتويني وريس وخوري في قرية نورس١٨٨١ -١٩١٣م[٤٧]

الرقم	التاريخ	المزارعين	الحصص	دونم	المشتري
١	١٨٨١	٥	٤	٩٤٤	اسكندر سرسق.
٢	١٨٨١	١٠	١٠	٢٣٦٠	جرجي لطف الله سرسق.
٣	١٨٨١	٨	٤	٩٤٤	نخلة وإخوانه أولاد موسى سرسق.
٤	١٨٨١	٥	٤,٥	١٠٦٢	جبران وإخوانه أولاد خليل سرسق.
٥	١٨٨١	٦	٣	٧٠٨	الياس إبراهيم سرسق.
٦	١٨٨١	١٦	٧	١٦٥٢	يوسف متري سرسق.
٧	١٨٨١	٧	٣,٥	٨٢٦	نخلة التويني وإخوانه ثم انتقلت إلى السراسقة.
٨	١٨٨١	٧	٣,٥	٨٢٦	خليل الخوري ثم انتقلت إلى السراسقة.
٩	١٨٨١	٤	٢,٥	٥٩٠	سليم الريس ثم انتقلت إلى السراسقة.
١٠	١٨٩٠	٢٩	١٢,٣٥	٢٩١٥	نجيب وإخوانه أولاد يوسف سرسق.
١١	١٩٠١	٢	٠,٢٥	٥٩	نجيب وإخوانه أولاد يوسف سرسق.
١٢	١٩٠٢	٣٠	٩,٥	٢٢٤٢	نجيب وإخوانه أولاد يوسف سرسق.
١٣	١٩١٠	١	٠,٥	١١٨	نجيب وإخوانه أولاد يوسف سرسق.
١٤	١٩١٣	؟	طواحين	طواحين	نجيب وإخوانه أولاد يوسف سرسق.
المجموع				**٢٧١٦٤ + طواحين نورس على نهر الجالود**	

(٤٦) نابلس ٢٣، ص ١٦٧ -١٧٧. جنين ٩، ص ٤٤ -٦٨. جنين ١٧، ص ١٦٦. أبو بكر، ص ١٢٣.

(٤٧) جنين٨، ص٥ -٢٨. جنين ٩، ص ٤٨ -٧٥. جنين ١٤، ص ٣٠ -٣٤، ٦٠. جنين ١٧، ص١٠- ٣٤.نابلس٢٣، ص١٦٧ -١٧٧.

وبالرغم من فعالية المادة (٢٥) من قانون الأراضي على واقع الملكيـــة الـــصغيرة فـــي فلسطين إلا أنها ظلت متواضعة على صعيد ملكيـــة الـــسراسقة، إذا مـــا قورنـــت بأحكـــام المحلولات من قانون الأراضي[٤٨] والمادة (١٨) من نظام الطابو، التي أكدت على مبدأ حل الملكية عن متصرفيها إذا ما تخلفوا عن فلاحتها (٣) سنوات متتالية دون عذر شرعي، ودفع الواجبات الضريبية المترتبة عليها للخزينة، واذا ما اسقطوا حقهم عنها يتم طرحها في المزاد العلني، واشترطت أن تجري المزايدات عليها في حالة زيادة مساحتها عن (٥٠٠) دونم فـــي العاصمة اسطنبول، إلى جانب مركزي القضاء واللواء التابعة لـــه لمـــدة ثلاثـــة اشـــهر[٤٩] وبموجب ذلك، تمكن السراسقة وشركاؤهم ١٨٦٩م من شراء ما يوازي ثلث مساحة ملكيـــتهم في صفقة واحدة، واشتملت، في مجملها، على (٢٢) قرية بلغت مساحتها (٢٣٠٠٠٠) دونـــم مقابل (١٧٠٠٠) ليرة عثمانية[٥٠].

ج. *انكسار الضرائب*

يعد انكسار الضرائب المترتبة للخزينة أحد العوامل المهمة في تكوين ملكية السراسقة في فلسطين. ففي عام ١٨٦٩م، أقدمت الخزينة العثمانية على حل أراضي (٢٢) موقعا بما فيها مدينة الناصرة، وطرحها بالمزاد العلني، نتيجة لعجزها عن الوفاء بمستحقاتها من الضرائب المتراكمة منذ عام ١٨٤١م، وقد رست مزايدتها في العاصمة اسطنبول على عدد من رجـــال الأعمال البيروتيين نال السراسقة نصيب الأسد منها[٥١].

وفي عام ١٨٧٢م، عادت الخزينة، وطرحت للمزايدة في العاصمة (٥) قـــرى رســـت

---

(٤٨) قانون الأراضي، المادة (٥٩-٩٠).

(٤٩) نظام الطابو، المادة (١٨).

(٥٠) الاتحاد ١٣٩، ص ٢. الكرمل ١٤١٣، ص ٥. فلسطين ١٦٥٤، ص ٨. شولش، ص ١٣٨-١٣٩. افنيري، ص ٦٥. Oliphant, The Land, PP. 330-333 .Haifa, P.52-54

(٥١) دفتر (١١) تحقيقات، ص١-٥٢. كشف (١٢) مزايدة، ص١-٤٢. يوقلمة (١) التينة، ص١-٢. القدس ٣٩٧، ص ١٤٠-١٤١. فلسطين ١٤٣، ص١. الكرمل ١٤١٣، ص ٥. شولش، ص ١٣٨-١٣٩. Conder, Tent, Vol. 1, PP. 165-166

مزايدتها على السراسقة[٥٢] ووكيلهم وشريكهم سليم خوري الذي كان من كبار تجار حيفا[٥٣]. وقد شكلت هذه المشتريات في مجملها القاعدة الأساسية لملكية السراسقة في فلسطين، كما وجد مزارعو القرى المجاورة في سطوة السراسقة ونفوذهم مظلة إلجاء يحتمون بها من تعسف الجباة والملتزمين والزعامات المحلية المتنفذة، فتنازلوا عن ما في أيديهم من الأرض والبيوت والعقارات مقابل حمايتهم[٥٤].

ومن الجدير بالذكر، أن انكسار الضرائب لم يأت وليد الصدفة، وإنما جاء نتيجة لمجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية السيئة التي ألقت بظلالها على أهالي المواقع المأهولة المشمولة بالملكية بين ١٨٣١ -١٨٧٢م. وقد حاولت الحكومة العثمانية، من خلال لجان المسح والتسجيل، التي انطلقت لمسح سهول مرج ابن عامر وبيسان، جباية الضرائب المترتبة عليها مقسطة نحو ثلاثة عقود، إلا أنهم عجزوا عن أدائها نظرا لضخامتها من ناحية، وسوء نظام الجباية من ناحية أخرى.

د. الجهل والفساد

نتيجة لتفشي الجهل، عزف قطاع كبير من المزارعين عن مسح أراضيهم وتسجيلها عند انطلاق حملة المسح والتسجيل عام١٨٦٩م، وعدّوا هذه الخطوة، من جانب الحكومة، على أنها أحد الأساليب الجديدة التي تسعى من خلالها إلى تسجيل الأراضي المعطلة على أسمائهم، لزيادة مدخولاتها من الضرائب واستدراجهم هم وأبناؤهم إلى الخدمة العسكرية، في الوقت الذي لا تتوافر لديهم الإمكانات المادية التي تتيح لهم دفع البدل العسكري البالغ (٥٠) ليرة، عثمانية بدلا من الذهاب إلى ميادين التدريب والقتال، وآزرهم في توجهاتهم

(٥٢) اليرموك ٢، ص١. الدباغ، ج٧، ص ٤٩. شولش، ص ١٣٩ -١٤٠.

(٥٣) جنين٨، ص ٥ -٢٨. جنين ٩، ص ٤٨ -٧٥. جنين ١٤، ص ٣٠ -٣٤، ٦٠.جنين١٧، ص١٠ -٣٤. نابلس٢٣، ص ١٦٧ -١٧٧. اليرموك ٢، ص١. اليرموك ٨٩، ص١. الكرمل ١٤١٤، ص ٢ -٥.

(٥٤) قارن بين كل من التالية: - القدس ٣٨٨، ص ٢٩. القدس ٣٨٣، ص٦٨. القدس ٣٨٦، ص ١٠٢. القدس ٣٦٥، ص ٢٩. القدس ٣٩٠، ص ٦٥ -٢٩٧. الجامعة ٧٣٢، ص ٥. الكرمل ١٤١٣، ص ٥. الكرمل ٦٧٣، ص١. الكرمل ٦٧٦، ص ٣. الكرمل ١٠٣٠، ص١. الكرمل ١٤١٣، ص ٥. الكرمل ١٤٦٩، ص ٨.

الشيوخ والوجهاء.

وعلى صعيد آخر، فقد أسهم الفساد المستشري في دوائر الدولة في تكوين ملكية السراسقة ونموها، إضافة إلى غيرها من الملكيات الكبيرة في فلسطين، فالصفقة الأولى، التي أرست حجر الزاوية في ملكية السراسقة عام١٨٦٩م، ما كانت لتتم لولا الجهود التي بذلها والي ولاية سوريا راشد باشا طمعاً في الحصول على رشوة كبيرة، وبعد أن نجح الوالي في إبرام الصفقة تقاضى من السراسقة ما قيمته (٣٠٠٠) ليرة عثمانية، في حين لم يصل من ثمنها إلى خزينة الدولة سوى (٦٠٠٠) ليرة من أصل الثمن الإجمالي البالغ (١٧٠٠٠) ليرة، وهو مبلغ زهيد لا يقارن بالثمن الحقيقي الذي قدر بـ (١٥٠٠٠٠٠) ليرة عثمانية. وعندما أدرك وجهاء الناصرة، وشيوخ القرى والقبائل ما سيحل بأرضهم شدّوا الرحال إلى دمشق لمقابلة الوالي، وطلبوا منه تطويب أراضيهم بدلا من البيع إلا أن عروضهم قوبلت بالرفض[٥٥].

ثانياً: حجم الملكية

تعد ملكية السراسقة أوسع ملكية تكونت في فلسطين بأيدي الرأسماليين اللبنانيين، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أ. *المواقع المأهولة*

انتشرت ملكية السراسقة في (٦٠) موقعا، وتركزت في لوائي عكا ونابلس أوالبلقاء، وفقا للتبيعة الإدارية السائدة في العهد العثماني، وجاء ذلك على محورين: الأول: جنين - حيفا، والثاني: جنين -بحيرة الحولة، وهو ما توضحه بيانات الجدول رقم (٣).

---

(٥٥) القدس٣٨٨، ص٢٩.القدس٣٨٣، ص٦٨.القدس٣٨٦، ص١٠٢.القدس٣٦٥، ص٢٩. القدس٣٩٠، ص٢٩٥-٢٩٧.الجامعة٧٣٢، ص٥. الكرمل١٤١٣، ص٥ .الكرمل ٦٧٣، ص١. الكمل٦٧٦، ص٣.الكرمل١٠٣٠، ص١.الكرمل١٤١٣، ص٥.الكرمل١٤٦٩، ص٨.الكرمل١٦٥٤، ص٨. الكرمل ١٩٩٥، ص ٨. منصور، ص ٢٨٧-٢٨٨. قاسمية، خيرية، "النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨م"، (منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م). ص ٦٤.

جدول (٣): المواقع التي انتشرت فيها أراضي السراسقة[٥٦]

الرقم	الموقع	تاريخ الشراء	ملاحظات
١.	مدينة الناصرة	١٨٦٩	استعاد أهالي الناصرة عام ١٨٧٠م الأراضي الجبلية الوعرة بمساعدة تجارها وأفنديتها، إلا أنها عادت وانتقلت للسراسقة مرة ثانية في العقد الأول من القرن العشرين، وذلك من خلال بعض الوجهاء والسماسرة تمهيدا لنقلها للحركة الصهيونية. وفي عام ١٨٩٢م بذلت بلدية الناصرة جهودا مضنية لاستردادها إلا أن جهودها باءت بالفشل.
٢.	قرية العفولة	١٨٦٩	نتيجة لحيويتها في أراضي المرج نعتت بلقب عروس مرج ابن عامر وقد سيطر السراسقة على جميع أراضي القرية بما في ذلك أراضي العمران.
٣.	قرية الفولة	١٨٦٩	جميع أراضي القرية بما في ذلك أراضي العمران.
٤.	قرية جنجار	١٨٦٩	عند المقاسمة كانت من نصيب آل فرح، وهم من أقرباء السراسقة، وتعود ملكيتها إلى أهالي مدينة الناصرة واستحوذت على ٧٥% من الأراضي السهلية.

(٥٦) مصدر الجدول: جنين ٥، ص ٣٥٠ جنين ٨، ص ٥ -٨. جنين ٩، ص ٤٨ -٧٥. جنين ١٤، ص ٣٠ -٣٤، ٦١. جنين ١٧، ص ١٠ -٣٤. نابلس ٢٣، ص ١٦٧ -١٧٧. حيفا ٩، ص ١٨٣ -١٨٤. حيفا ١٠، ص ٥٥. دفتر (٣٨) الناصرة، ص ٩. الاتحاد ١٣٩، ص ٢. اليرموك ٢، ص١ -٢. اليرموك ٥، ص ٣. اليرموك ٤٠، ص ٣. اليرموك ١٢٢، ص ٢. اليرموك ١٢٣، ص١ -٣. اليرموك ١٢٦، ص ٢. الجامعة ٩٩١، ص ٣ -٤، ٨. الجامعة ٩٩٢، ص١. الجامعة ١٠٢٠، ص ٥. المقتبس ٥٥٢، ص١. الكرمل ٨٧١، ص ٤. الكرمل ١١١٩، ص ٢. الكرمل ١١٣٧، ص ٢.الكرمل ١٤١١، ص ٥. الكرمل ١٤١٢، ص ٦. الكرمل ١٤١٣، ص٥. الكرمل ١٦٤٩، ص١ -٥. الكرمل ١٦٩٩، ص ٢. فلسطين ١٦٦٢، ص ٢. فلسطين ١٦٧٣، ص ٤. الوقائع ٢٩٥، ص ١١٢٣. نيوتن، فرنسيس املي، "خمسون عاما في فلسطين" (عمان الاردن، ١٩٦٧م)، ص٢٠٤. منصور، ص ٩٨ -٩٩، ٢٨٧ -٢٨٨. الدباغ، ج ١، ص ٥١ -٥٢، ١٧٥، ج ٧، ص ١١٩ -٦٧٦. جريس، ج ٢، ص ١٤٨. أفنيري، ص ١٠٧ -١٢٤، ١٨٧.، غنايم، زهير عبد اللطيف، "لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٢٨١ -١٣٣٧هـ/١٨٦٤ -١٩١٨م"، (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م).ص ٣٣٥ -٣٤٩، ٣٦٨ -٣٧٢. الحزماوي، محمد ماجد صلاح الدين، "ملكية الاراضي في فلسطين خلال عهد الانتداب"، ص ٢٩٦. البديري ٢٤٠. العارف، عارف، النكبة والفردوس الفقود١٩٤٧ -١٩٥٢م"اصدار دار الهدى، ١٩٥٦م)، ج ٣، ص ٦٥٧. عبد القادر، ص ٣٠٢ خريطة فلسطين ١:٢٥٠٠٠٠، ١٩٨٤م. خريطة فلسطين ١:٢٥٠٠٠٠، ١٩٨٨م. الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين"، (مطبعة الشعب، دمشق، سوريا، ١٩٣٧/١٣٥٦م)، ص ٢. مقابلة شخصية محمد خليل حمارشه، ٩١ سنة، يعبد، ١٩٩٩/١١/٢٠م.

Conder, Vol. 1, PP.355- 356.Granott, Granott,A.: The Land System in Palestine, London, 1952, PP .80-81.

... تابع جدول رقم (٣)

الرقم	الموقع	تاريخ الشراء	ملاحظات
.٥	قرية الوركاني	١٨٦٩	جميع أراضي القرية بما في ذلك أراضي العمران.
.٦	قرية خنيفس	١٨٦٩	وتعرف في بعض الأحيان باسم ساريد أو تل شدود.
.٧	قرية بيت لحم	١٨٦٩	بالاشتراك مع آل تويني من تجار بيروت.
.٨	قرية قيرة وقامون	١٨٦٩	بالاشتراك مع آل تويني من تجار بيروت.
.٩	قرية طبعون	١٨٦٩	بالاشتراك مع آل فرح من تجار بيروت.
.١٠	قرية قصقص	١٨٦٩	تقع في ظاهر قرية طبعون الشمالي، وذلك بالاشتراك مع آل فرح.
.١١	عرب الزبيدات	١٨٦٩	قرية بدوية تقع إلى الشمال من الحارثية، وكانت تعد من ملحقات قرية شفا عمرو المجاورة.
.١٢	قرية معلول	١٨٦٩	اشتملت ملكية السراسقة على الأراضي السهلية فقط، في حين ظلت المراعي البالغة(٧٠٠٠)دونم خارج إطار الصفقة، وكانت مثار نزاع مرير مع الحركة الصهيونية فيما بعد.
.١٣	قرية صفصافة	١٨٦٩	قرية صغيرة أو مزرعة تعد من ملحقات قرية معلول.
.١٤	قرية عين شيخة	١٨٦٩	قرية صغيرة أو مزرعة تعد من ملحقات قرية معلول.
.١٥	قرية عين البيضا	١٨٦٩	قرية صغيرة أو مزرعة تعد من ملحقات قرية معلول.
.١٦	قرية المقبية	١٨٦٩	قرية صغيرة أو مزرعة تعد من ملحقات قرية معلول.
.١٧	قرية سمونية	١٨٦٩	قرية صغيرة أو مزرعة تعد من ملحقات قرية معلول.
.١٨	قرية المدورة	١٨٦٩	قرية صغيرة أو مزرعة تعد من ملحقات قرية معلول.
.١٩	قرية المزاريب	١٨٦٩	قرية صغيرة أو مزرعة تعد من ملحقات قرية معلول.
.٢٠	قرية جباتا	١٨٦٩	تقع إلى الشمال من الخط الحديدي الحجازي العفولة - تل الشمام.
.٢١	قرية الشيخ بريق	١٨٦٩	بالاشتراك مع آل بسترس وتويني وفرح من تجار بيروت
.٢٢	قرية تل الشمام	١٨٦٩	بالاشتراك مع آل تويني باستثناء الخط الحديدي ومحاطاته التي تعد من الأراضي الموقوفة.

... تابع جدول رقم (٣)

الرقم	الموقع	تاريخ الشراء	ملاحظات
٢٣.	قرية تل عدس	١٨٦٩	تعود ملكيتها لأهالي مدينة الناصرة، وتعرف بالمقسم الغربي، وتستحوذ على ٢٥% من مساحة الأراضي السهلية.
٢٤.	قرية جدور	١٨٦٩	قرية ناشئة تقع إلى الشرق من خليج عكا، وقد بناها السراسقة على تل الزبدة التابع لقرية شفا عمرو.
٢٥.	قرية أم العمد	١٨٦٩	بالاشتراك مع آل تويني من تجار بيروت.
٢٦.	قرية جيدا	١٨٦٩	بالاشتراك مع آل تويني بما فيها بيوت المزارعين.
٢٧.	قرية المجيدل	١٨٦٩	تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الناصرة.
٢٨.	قرية مسحة	١٨٦٩	تقع على جبل طابور المشرف على سهل مرج ابن عامر.
٢٩.	قرية تل النور	١٨٦٩	لم نتمكن من تحديد موقع القرية.
٣٠.	قرية المجدل	١٨٧٢	(٢٤/٤) قيراط إلى التاجر سليم خوري من أهالي حيفا.
٣١.	قرية الخريبة	١٨٧٢	(٢٤/٤) قراريط إلى سليم خوري من أهالي حيفا.
٣٢.	قرية الحارثية	١٨٧٢	(٢٤/٤) قراريط إلى سليم خوري من أهالي حيفا بما فيها جسرها.
٣٣.	قرية الهريج	١٨٧٢	(٢٤/٤) قيراط إلى التاجر سليم خوري من أهالي حيفا.
٣٤.	قرية الياجور	١٨٧٢	بالاشتراك مع سليم خوري والتاجر فؤاد سعد من أهالي عكا.
٣٥.	قرية سولم	١٨٨١	مع الزمن تمت تصفيتها للسراسقة من الأهالي وبشارة عطا الله.
٣٦.	قرية نورس	١٨٨١	تتميز بخصوبتها ووفرة مياهها، ولهذا تعد من ابرز مواقع السراسقة نظرا لاعتماد الزراعة فيها على الري.
٣٧.	قرية تل الفر	١٨٨١	تقع إلى الشرق من نورس، ويسكنها مع جالود (١٨٠) عائلة وتعرف في بعض الأحيان باسم تل الفار.
٣٨.	طواحين نورس	١٨٨١	تقع على مجاري العيون والروافد العليا لنهر الجالود، وكانت تدار بطاقة الماء الحركية، وتستخدم لطحن الحبوب.
٣٩.	قرية جالود	١٨٨١	تقع في ظاهر نورس الشرقي، ويسكنها مع تل الفر (١٨٠) عائلة.
٤٠.	قرية عين حادور	١٨٨١	من ملحقات قرية نورس، وتشتمل على أهم ينابيع نهر الجالود.
٤١.	قرية الملاحة	(؟)	قرية بدوية تقع عند الزاوية الشمالية الغربية لبحيرة الحولة، ويقيم فيها عرب الدلايكة.
٤٢.	عرب القرابصة	(؟)	تقع ديارها على ساحل البحر بين مدينتي عكا وحيفا وخاصة الساحل الرملي، وتعرف باسم جدور الغوارنة.

... تابع جدول رقم (٣)

الرقم	الموقع	تاريخ الشراء	ملاحظات
٤٣.	عرب الكواملة	(؟)	تقع ديارها جنبا إلى جنب مع ديرة عرب القرابصة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين مدينتي عكا وحيفا.
٤٤.	قرية ملكا	(؟)	لا تتوافر لدينا بيانات مفصلة حول موقع القرية وتاريخ إبرام صفقة أراضيها.
٤٥.	قرية منجر	(؟)	لا تتوافر لدينا بيانات مفصلة حول موقع القرية وتاريخ إبرام صفقة أراضيها.
٤٦.	قرية حنيفات	(؟)	لا تتوافر لدينا بيانات مفصلة حول موقع القرية وتاريخ إبرام صفقة أراضيها.
٤٧.	قرية قباطية	(؟)	تقع على سفوح جبل الكرمل الجنوبية الغربية.
٤٨.	قرية قومية	(؟)	بالاشتراك مع آل الريس والمشني وقصاب وعبد الهادي من اهالي مدينتي حيفا وجنين والمزارعين من أهالي القرية.
٤٩.	قرية شطة	(؟)	كانت بيد آل عبيد ورجا الريس وقصاب والمشني، ثم انتقلت إلى أيدي السراسقة ومما يؤيد ذلك تصرفهم بها ونقلها إلى الحركة الصهيونية مع سولم، وخنيفس، وجباتا، والعفولة عام١٩٢٤م.
٥٠.	قرية الطيرة	(؟)	اقتصرت ملكية السراسقة فيها على (٨٠٠٠) دونم.
٥١.	قرية صندلا	(؟)	حصتين من اصل (٣٤) حصة أو ما يوازي ٦% من مساحة القرية.
٥٢.	قرية أم جوني	(؟)	تقع عند البوابة الجنوبية لبحيرة طبرية وهي من أراضي الجفتلك التابعة للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩).
٥٣.	قرية تل سماح	(؟)	لم نتمكن من تحديد موقع القرية.
٥٤.	قرية ام التوت	(؟)	تقع في السهل الساحلي إلى الشمال الغربي من قرية صبارين.
٥٥.	قرية كردانة	(؟)	خربة قديمة تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة عكا.
٥٦.	ساحل حيفا	(؟)	تمتد إلى الجنوب من مدينة حيفا ولم نتمكن من التعرف على المواقع انتشرت التي فيها.
٥٧.	قرية ام قبي	(؟)	تقع إلى الشمال من مدينة الناصرة.
٥٨.	تل النور	(؟)	لا تتوافر لدينا بيانات مفصلة حول موقع القرية وتاريخ إبرام صفقة اراضيها.
٥٩.	بحيرة الحولة	١٩١٤	وقد تم شراؤها من حكومة الاتحاد والترقي وهي من أراضي الجفتلك وذلك بالاشتراك مع سليم سلام من تجار بيروت.

وبموجب بيانات الجدول، نلاحظ أن ملكية السراسقة قد تغلغلت في (٦٠) موقعا. وقد تم لهم ذلك بعد أن انتقلت إليهم الغالبية العظمى من أراضي شركائهم، حيث أحكمت قبضتها على البنى الأساسية للاقتصاد الوطني، وفي مقدمتها سهل المرج، الذي يستحوذ في مساحته على (٤٠٠٠٠٠) دونم، تعد أغزر أراضي فلسطين إنتاجا للحبوب، وخاصة القمح، وهو ما استحق معه لقب "سلة خبز فلسطين"، أو "أهراء البلاد"، كما تجاوزته إلى التلال والسفوح المطلة عليه، وذلك باستثناء أراضي زرعين التي كانت بحوزة آل عبد الهادي، والزاوية الجنوبية الغربية منه، حيث ينتشر عرب التركمان والقرى المطلة عليه، وما إن تجاوزت ملكية آل عبد الهادي حتى واكبت مسيرتها شرقا، حيث أحكمت قبضتها على (٦٥٠٠٠) دونم من الأراضي الممتدة بين سهل المرج وسهول غور بيسان، وتشتمل على نورس والقرى والمزارع التابعة لها، إضافة إلى قريتي شطه وصندلا، وهي من خيرة الأراضي، نظرا لخصوبتها من ناحية، ووفرة مياهها، وجودة مناخها من ناحية اخرى[٥٧].

وعلى مشارف سهل بيسان، الذي سيطرت عليه أراضي الجفتلك السلطاني الخاصة بالسلطان عبد الحميد، اختفت ملكية السراسقة، ولم تتمكن من الظهور إلا في قرية أم جوني القائمة عند البوابة الجنوبية لبحيرة طبرية، واستحوذت على (١٠٠٠٠) دونم تم شراؤها من السلطان ومفتي طبريا، وجاء توغلها المحدود في أراضي الجفتلك نتيجة للعلاقات الوثيقة التي ربطتهم بالسلطان وحاشيته، ومما يؤيد ذلك اعتماد ديمتري جرجي سرسق مترجما خاصا للسلطان عند زيارة الإمبراطور الألماني لاسطنبول، أما توغلها في حوض الحولة عام ١٩١٤م، فجاء بعد عزل السلطان عن سدة الحكم في ظل الحكومة الاتحادية[٥٨].

---

(٥٧) الكرمل٨٧١، ص ٤. الكرمل ١١٠٣، ص ٤ . الكرمل ١٤٣٩، ص ٢. الكرمل ١٥٠٨، ص ٣. الكرمل ١٨٠٩، ص ٢. الكرمل ١٦٥٤، ص٨. الكرمل ١٦٧٤، ص٨. فلسطين ٧٠٦، ص١. فلسطين ١٦٢٠، ص ٩. فلسطين ١٥٢٩, ص ٥. فلسطين ١٧١٩، ص٤.

(٥٨) الوقائع، ١٩٢٥/١/٧م، ص ٦٤٧. الوقائع ٢٩٥، ص ١١٣٢. الكرمل ١١٠٣، ص ٤. الكرمل ١٤١٤، ص ٢ -٥. الكرمل ١٥٠٨، ص ٢. الكرمل ١٨٠٩، ص ٣. السفري، ص ٢١٩. افنيري، ص ٩٤.

أما على الطرف الغربي، فقد استمر اتصالها بسهل المرج حيث تسللت عبر مجرى وادي المقطع، وسفح جبل الكرمل الشمالي، لتتوغل في السهل الساحلي ابتداء من عكا شمالا، وحتى عتليت جنوبا، وتحكم قبضتها على (١٢٥٠٠٠) دونم من أراضي السهل الساحلي، التي كان لها شهرة مميزة في إنتاج الحبوب والسمسم والقطن والبطيخ وغيرها من سلع التصدير من ناحية، والوقوف عند مشارف ميناء حيفا أهم موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى.

وانسجاما مع تطلعاتهم الرأسمالية الساعية لتحقيق اكبر قدر من الربح، عمد السراسقة إلى إقرار المزارعين المقيمين في المواقع المأهولة على ما في أيديهم من أراضي كعمال مستأجرين على نصيب معين من الإنتاج وإعمار القرى الآيلة للخراب، واستقدام المزارعين إليها، وتعيين المديرين والوكلاء والنواطير عليهم، وتزويدهم بالأدوات الزراعية والبذور المحسنة، كما تعهدوا للحكومة بدفع ما يترتب عليها من الضرائب. وفي سبيل تفعيل أدائها الإنتاجي، ورفع قيمتها كسلعة رائجة في أسواق السمسرة، قاموا عام ١٨٧١م بإجراء مسوحات هندسية شاملة فيها لربطها بشبكة من الطرق المعبدة بميناء حيفا وبالرغم من فشلهم في ذلك، إلا انهم حاولوا شراء امتياز بناء خط سكة حديد درعا -حيفا وهو ما دفع الحكومة العثمانية إلى إلغاء العطاء وإنفاذ المشروع بنفسها[٥٩].

ومما لاشك فيه، أن بيانات الجدول رقم (٣) تحمل في طياتها مؤشرا ذا قيمة على درجة كبيرة من الأهمية يمكن أن نتخذ منه أداة فاعلة لرسم الإطار العام لملكية السراسقة في فلسطين، وذلك في ضوء حجم الصفقات التي تم إبرامها مع الحكومة، أو المزارعين. وتوحي في مضامينها بأن سعة مساحة الأرض كانت تعد من أبرز الشروط الواجب توافرها في الصفقة، إلى جانب درجة الخصوبة وغزارة الإنتاج، وإزاء ذلك، لم نعثر على أية

(٥٩) جنين ١٤، ص ٣٢، ٣٤، ٦٠. الكرمل ١٦٤٩، ص١ -٥. الكرمل١٤١٦، ص٥. مقابلة شخصية، محمد خليل حمارشه، ٩١سنة، يعبد، ١٩٩٩/١١/٢٠م. شولش، ص١٤٠ -١٤١ -١٤٢. افنيري، ص٦٥. Conder. Vol.2, P.328. Present, P10. Fireston. P.162, P.482. Oliphant, Gilead, PP.329-331. Haifa, PP.52-53.

إشارة تدل على أن السراسقة أبرموا صفقات صغيرة باستثناء طواحين نورس التي كانت تستخدم لطحن الحبوب، ومما يؤيد هذا، الصفقة الأولى التي أبرموها مع شركائهم من آل بسترس وفرح وتويني من تجار بيروت عام ١٨٦٩م[٦٠]، والثانية عام ١٨٧٢م التي اشتملت على أراضي (٥) مواقع. وبمرور الزمن احكم السراسقة قبضتهم على جميع أراضي المرج والشفا المحيط به[٦١].

ويصف المستشرق الإنجليزي أولفانت "Oliphant" عام ١٨٨٣م تغلغل السراسقة في أراضي شمال فلسطين بعامة، والمرج والتلال المحيطة به بخاصة، قائلا:"إن سهل ازدريلون[٦٢] كله ... كذلك جزءا من التلال المحيطة به تملكها الآن جميعا مؤسسة غنية من رجال البنوك السوريين الذين يجنون منه دخلا سنويا يقدر بـ ٢٠٠٠٠ دولار، وهم يملكون عمليا حوالي خمسة آلاف من البشر الذين يكونون سكان ثلاثين قرية، ولم أجد طلمسا لإغراء الوطنيين بالاستجابة لطلبي أقوى من أن اذكر اسم سرسق ....وما من طاغية يمارس سلطة استبداده على حريات مزارعيه وحياتهم أقوى من تلك التي كان يمارسها هذا المليونير الملاك الذي يعمل كل عام على ضم الجديد إلى أراضيه، حتى بدا كأن الجليل بأسره بات في خطر الوقوع في يديه"[٦٣]، وهو ما جعلهم عاجزين عن الإحاطة بكل ما يجري عليها من نشاط زراعي أو عمراني إلا من خلال وكلائهم[٦٤]، كما أكد المعمَّر محمد خليل حمارشة،

---

(٦٠) الكرمل ٦٧٣، ص١. فلسطين ١٤٨٣، ص ٣. Conder,Tent,Vol.1,PP.165-166

(٦١) العارف، النكبة، ج ٣، ص٦٥٦ -٦٥٧. الكرمل ١١٠٣، ص ٤. الكرمل ١٠٨٩، ص ٤. الدباغ، ج ٧، ص ٤٩.

(٦٢) ازدر يلون أو يزرعيل بمعنى يزرع أو يفلح وهو الاسم الكنعاني لسهل مرج ابن عامر، ويعرف بذلك نسبة الى قرية يزرعيل الكنعانية والتي اقيم على انقاضها قرية زرعين كما عرف بالتوراة بنفس الاسم:قارن بين كل من التالية: - المعلوف، ص١٢٧. الكرمل١٥٥١، ص١. الكرمل ١٠٨٩، ص٤.الدباغ، ج٢، ص٢٤ - ٢٥. ٢٠٣. Conder,and Kitchener, Map

(٦٣) شولش، ص١٤٠. Oliphant, Haifa,PP. 52-53

(٦٤) الكرمل ١٤١١، ص ٥. الكرمل ١٤١٢، ص ٦.

الذي عمل مع عائلته وهو في ريعان الشباب في أراضي خنيفس من أراضي الـسراسقة، "أن ملكيتهم امتدت من حيفا إلى أبوب بيسان باستثناء أراضي زرعين التـي كانت بيـد عبـد الهادي"(٦٥)

ب. المساحة

بموجب صفقات الشراء التي أبرمها السراسقة مع الحكومة العثمانية وشركائهم والملاكين الكبار المحليين والمزارعين الصغار بين أعوام ١٨٦٩-١٩١٤م من ناحية، وعقود البيع التي تنازلوا فيها عنها لصالح المستعمرين الألمان والحركة الصهيونية بين أعوام ١٩٠٠-١٩٣٦م، من ناحية أخرى، نلاحظ أن ملكيتهم قد استحوذت على ما يقرب من (٨٠٠٠٠٠) دونم علـى أدنى تقدير، او ما يوازي ٣%من اجمالي مساحة فلسطين(٦٦) وهو ما توضحه بيانات الجدول رقم (٤).

(٦٥) مقابلة شخصية، محمد خليل حمارشه، ٩١سنة، يعبد، ١٩٩٩/١١/٢٠م. انظر: الكرمل ١١٣٤، ص١. الكرمل ١٥٠٨، ص ٣. الكرمل ١٥٠٩، ص ٢.

(٦٦) عوض، مقدمة، ص١٣٨.

جدول (٤): مساحة أراضي السراسقة[٦٧]

الرقم	الموقع	دونم	ملاحظات
١ – ٣	مدينة الناصرة: جنجار، تل عدس.	٨٨٠٠٠	اشتملت على أراضي الناصرة السهلية، وقد تم تحديدها على أساس مساحة أراضي تل عدس التابعة لمدينة الناصرة التي كانت تعرف باسم ربع أراضي الناصرة، وتشتمل على (٢٢٠٠٠) دونم، في حين عرفت أراضي جنجار بالمقسم الشرقي أو ثلاثة أرباع أراضي الناصرة، مما يعني أن أراضي الناصرة السهلية تساوي (٨٨٠٠٠) دونم، أما الأراضي الوعرة، التي تم بيعها للسراسقة بعد استردادها، فلا تتوافر لدينا بيانات مؤكدة عن مساحتها.
٤	العفولة	١٦٠٠٠ + ٣٥٠٠	كما أحيا المزارعون العرب (٣٥٠٠) دونم من الأراضي الموات وبذلك ترتفع مساحة القرية إلى (١٩٥٠٠) دونم.
٥ – ٦	جالود، تل الفر	٣٠٠٠٠	بما فيها عيون الماء التي تعد من أهم ينابيع نهر الجالود، وكانت بيد (١٨٠) عائلة من المزارعين.

(٦٧) مصدرالجدول: جني ٥، ص ٣٥٠ جنين ٨، ص ٥-٨. جنين ٩، ص ٤٨-٧٥. جنين ١٤، ص ٣٠-٣٤، ٦١. جنين ١٧، ص ١٠-٣٤. نابلس ٢٣، ١٦٧-١٧٧. دفتر (٣٨) الناصرة، ص ٩. الاتحاد ١٣٩، ص ٢. اليرموك ٢، ص ١-٢. اليرموك ٥، ص ٣. اليرموك ٢٥، ص ٢. اليرموك ٤٠، ص ٣. اليرموك ١٢٢، ص ٢. اليرموك ١٢٣، ص١-٣. اليرموك ١٢٦، ص ٢. الجامعة ٣، ص ٥. الجامعة ٩٩١، ص ٣-٤، ٨. الجامعة ٩٩٢، ص١. الجهاد ٨٦٦، ص ٢. الكرمل ٧٠٧، ص ٢. الكرمل ١١١٩، ص ٢. الكرمل ١١٣٤، ص ٢. الكرمل ١١٣٧، ص ٢. الكرمل ١٤١١، ص ٥. الكرمل ١٤١٢ ص ٦. الكرمل ١٤١٣، ص ٢٥. الكرمل ١٤٦٧، ص ٨. الكرمل ١٤٦٩، ص ٥. الكرمل ١٥١٨، ص ٤. الكرمل ١٥٤٢، ص ٦. الكرمل ١٥٤٨، ص١. الكرمل ١٦٤٩، ص١-٥. فلسطين ١٣١٥، ص ٢. فلسطين ١٦٦٢، ص ٢. الوقائع ٢٩٥، ص ١١٢٣. الوقائع العدد الممتاز ١٩٢٧/١٠/٧م، ص ٦٤٧. نيوتن، ص ٢٠٤. منصور، ص ٢٨٧-٢٨٨. الدباغ، ج ١، ص ٥١-٥٢، ١٧٥، ج ٧، ص ١١٩، ١٣٦-١٣٧، ١٤٢، ١٥٤، ١٧١، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٢، ٦٦٤، ٦٧٥-٦٧٦، ٦٨٥. جريس، ج ٢، ص ١٤٨. الغوري، اميل، "١٥ايار ١٩٤٨"، (دار الكتاب العربي، دار النشر العربية، بيروت، لبنان، ١٩٥٩م)، ص ٦٤-٦٦. أفنيري، ص ١٠٧-١٢٤، ١٨٧. غنايم، ص ٣٣٥-٣٤٩، ٣٦٨-٣٦٩. الحزماوي، ص ٢٩٦. البديري، ٢٤٠. العارف، النكبة، ج ٣، ص ٦٥٧. السفري، عيسى، "فلسطين بين الانتداب والصهيونية"(مكتبة فلسطين الجديدة، يافا، ١٩٣٧)، ص ١١٠.عبد القادر، ص ٣٠٢.خريطة فلسطين ١:٢٥٠٠٠٠، ١٩٨٤م. خريطة فلسطين ١:٢٥٠٠٠٠، ١٩٨٨م.افنيري، ص ٦٥، ٩٤، ٩٧-٩٩، ١٠٣، ١٠٩، ١١٢، ١٨٦-١٨٧. الدباغ، ج ٧، ص ٢٤-٢٥، ٤٢، ١٣٥-١٥٤. جريس، ج ٢، ص ١٣٢، ١٤٨، ٢٧٨. "وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨-١٩٣٩م"، جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، (١٩٨٨م)، ص ٨٤.عوض، مقدمة، ص١٣٨-١٣٩. Stein, P.56. Oliphant, Gilead, P.329

... تابع جدول رقم (٤)

الرقم	الموقع	دونم	ملاحظات
٧	معلول	٢٠٠٠٠ + ٧٠٠٠	باستثناء المراعي البالغة (٧٠٠٠) دونم التي قام عليها صراع مرير مع الحركة الصهيونية عندما حاولت ادراجها ضمن صفقاتها التي أبرمتها مع السراسقة.
٨–١٣	*مزارع معلول: - عين البيضا، عين شيخة المدورة المقبية، صفصافة، سمونيه.	٣٠٠٠ + (؟)	اشتملت المساحة على أراضي كل من مزرعة عين البيضا وعين شيخة والمقبية وصفصافة في حين لا تتوافر لدينا بيانات مفصلة عن مساحة مزرعتي المدورة والسمنية الملحقتين بقرية معلول.
١٤	عرب الزبيدات	٤٢٠٠	كانت أراضيهم تعد في عداد أراضي قرية شفا عمرو.
١٥	جباتا	١١٠٠٠	كانت بيد (٩٠) عائلة من المزارعين.
١٦	خنيفس	١١٠٥٦	كانت بيد (٦٠) عائلة من المزارعين.
١٧-٢٣	*ساحل عكا وحيفا عرب الكواملة، القبارصة الرمل، جدور، كردانه، المجدل، كفرتا.	٦٥٠٠٠ + ٢٥٠٠٠	وقد تم تحديد هذه المساحة بناء على المسوحات التي أجراها السراسقة ميدانيا في ارضي الساحل قبيل إبرام صفقة بيعها مع الحركة الصهيونية. وقد أجمعت جميع المصادر المتوافرة على أن مساحة الساحل بلغت (٦٥٠٠٠) دونم. في حين أكدت بعض المصادر أن مساحتها قد بلغت (٩٠٠٠٠)دونما.
٢٤	ساحل جنوب حيفا	٦٠٠٠٠	لا تتوافر لدينا بيانات مفصلة حول المواقع التي اشتملت عليها المساحة.
٢٥	ام جوني	١٠٠٠٠	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية.
٢٦	سولم	٣٦٠٥	استحوذ السراسقة على جميع أراضيها وذلك بعد شرائها من الأهالي وبشاره عطا الله.
٢٧	الطيرة	٨٠٠٠	وذلك بالاشتراك مع الأهالي أي ما يوازي (٧٨,٤%) من مساحة القرية البالغة (١٠٢٠٧) دونم.
٢٨ – ٣٠	*نورس وملحقاتها نورس، عين حادور، الطواحين.	٢٩٤٥٤	اقتصرت مساحة الطواحين على نطاقات محدودة من الأراضي على نهر الجالود بغية استيعاب معداتها وذلك وفق أحكام قانون الأراضي العثماني الذي لا يبيح إلحاق مساحات واسعة من الأراضي الأميرية بالعمران وبالتالي انتقال الأرض من ملكية الخزينة إلى الملكية الخاصة.
٣١	جيدا	١٥٠٠٠	خص آل تويني منها (٤٧٥٦) دونم.

... تابع جدول رقم (٤)

الرقم	الموقع	دونم	ملاحظات
٣٢	تل الشمام	٨٠٠٠	باستثناء أراضي الخط الحديدي الحجازي المار عبر أراضيها ومحطته التي تعد من الأراضي الموقوفة على الامة.
٣٣	*امتياز الحولة: - بحيرة الحولة، منطقة المستنقعات.	١٩٢٠٠٠ ÷ ٢ = ٩٦٠٠٠	مناصفة مع آل سلام من اهالي بيروت. وقد حدد عقد الامتياز مساحته بـــ (٥٧٠٠٠) دونم، وتشتمل على بحيرة الحولة ومستنقعاتها، إلا انه تبين عند تنازلهم عنه عام ١٩٣٤م، أن مساحته قد بلغت (١٩٢٠٠٠) دونم ويرجع ذلك إلى اعتماد المساحة على مبدأ التخمين بالإضافة إلى قوة نفوذهم التي مكنتهم من إلحاق مساحات واسعة من الأراضي إلى ملكيتهم دون معارضة الأهالي والدولة.
٣٤	الياجور	١٩٠٠٠	انتزعت حكومة الانتداب من إجمالي مساحة القرية (١٠٠٠٠) دونم عام ١٩٢٥م من سليم خوري شريك السراسقة بحجة وعورتها ووقوعها في سفوح جبل الكرمل الشمالية الوعرة وتعطيلها وعدم زراعتها وذلك بموجب قرار صادر عن محكمة الاراضي. الامر الذي يتناقض مع ما جاء في دفاتر الطابو العثمانية.
٣٥	الفولة	٩٤١٥	اشتملت ملكية السراسقة على جميع اراضي القرية كما أحيا المزارعون بجهودهم الشخصية (٣٠٠٠)دونم.
٣٦	قيرة وقامون	١٨٤٨٩	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية.
٣٧	ام العمد	٩٢٢٥	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية.
٣٨	قباطية	١٢٠٠٠	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية.
٣٩	حنيفات	١٠٠٠٠	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية.
٤٠	بيت لحم	٧٥٢٥	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية.
٤١	المجيدل	١٨٨٣٦	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية.
٤٢	الملاحة	١٨٠٠٠	قرية بدوية تقع عند الزاوية الشمالية الغربية لبحيرة الحولة على حافة امتياز الحولة.
٤٣	الخريبة	١٥٤٤٤	منها (٢٥٧٤) خاصة بسليم خوري.
٤٤	صندلا	٣٢٤٩	اقتصرت ملكية السراسقة ابتداءً على ٦%من إجمالي مساحة القرية أي ما يوازي(١٩٥)دونم.

... تابع جدول رقم (٤)

الرقم		الموقع	دونم	ملاحظات
٤٥		الهريج	١٥٦٤٧	منها (١٧٧٧) دونم خاصة بسليم خوري.
٤٦		قومية	١٠١٥٠	
٤٧		شطة	١٤٧٥٠	منها (٤٥٠٠) دونم تعود إلى آل عبيد.
٤٨		مسحة	١٠٨٣٣	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية.
٤٩	–	طبعون، قصقص	٩٢٨١	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي القرية السهلية باستثناء المراعي والاحراش التابع لها.
٥٠				
٥١		منجر والسمنية	٢٠٠٠٠	
٥٢		الحارثية	٢٨٠٠٠	بما في ذلك جسر الحارثية
٥٣		تل سماح والجديدة	٢٠٠٠٠	
٥٤	–	الوركاني، الشيخ بريق، تل النور، ام التوت، ملكا، ام قبي، عرب المزاريب	(؟)	اشتملت ملكية السراسقة على جميع أراضي هذه المواقع.
٦٠				
المجموع			٧٨٦٦٥٧	**دونم الى جانب المواقع المدرجة من (٥٤ – ٦٠)**

ويظهر من خلال الجدول (٤) أن السراسقة قد امتلكوا ما يزيد على (٨٠٠٠٠٠) دونم على أدنى تقدير، ومن المرجح أن ترتفع هذه المحصلة في ضوء التجاوزات التي مارسوها معتمدين على مقدراتهم الاقتصادية، وسطوتهم الاجتماعية، حيث وضعوا أيديهم على مساحات واسعة من الأراضي المعطلة والموات والمراعي والبيوت بما فيها الأراضي التي استصلحها المزارعون بجهوهم الشخصية، وتفوق مساحة مزارعتهم مع السراسقة، ولم تسلم منهم المقابر، بحجة أنها كانت من مشترياتهم، وضمن نطاق عمليات الإصلاح والإحياء التي قاموا بها. ومما يؤيد ذلك الخلافات التي نشبت بينهم وبين مزارعيهم على حقوق التصرف والحيازة والاستغلال، ومنها، على سبيل المثال، مطالبتهم لأهل الفولة بـ (٣٠٠٠) دونم قاموا بإحيائها بجهودهم الشخصية خارج إطار الأراضي التي رست عليهم من الحكومة العثمانية[٦٨]، واعترافهم بجهلهم بالمساحات الحقيقة لبعض الأراضي نظرا لاعتمادهم في

(٦٨) الكرمل ١٥٤٢، ص ٦. اليرموك ٢٥، ص ٢. الجامعة ٧٨٢، ص ٥. فلسطين ٧٠٦، ص١.

شرائها على الوكلاء من ناحية، واستخدام القيود العثمانية، كمرجعية أولى، في توثيق صكوك الشراء التي اتبعت أسلوب التخمين في تحديد المساحة من ناحية أخرى، وغالبا مـا جـاءت محصلتها متدنية لصالح المزارعين بغية تشجيعهم على العمل الزراعـي، وتخفـيض قيمـة الضرائب المستحقة عليهم(٦٩).

ثالثا: التغلغل الاستعماري

أ. شراء الأراضي

بدأت حركة التغلغل الاستعماري في أراضي السراسقة عام ١٨٩١م، وذلك علـى إثـر المفاوضات التي جرت بين السراسقة من جهة، وممثل شـركة تطـوير أراضـي فلـسطين الصهيونية جوشياهوهانكين من جهة أخرى، حول شراء (١٦٠٠٠٠) دونم في مـرج ابـن عامر، إلا أن الصفقة لم تعقد بسبب اعتراض الحكومة العثمانية عليها(٧٠). وفي أواخر القرن التاسع عشر حققت أولى نجاحاتها عندما تمكنت الشركة نفسها من شراء أراضـيهم فـي أم جوني البالغة (١٠٠٠٠) دونم، وقرية مسحة البالغة (٧٠٠٠) دونم، كما هو مبين في جـدول رقم (٥).

ونتيجة للعلاقات المميزة بين السراسقة والرعايا الألمان، والتي جاءت منـسجمة مـع العلاقات الرسمية العثمانية الألمانية، اعتمد جرجي ديمتري سرسق مترجما فخريا للقنـصلية

---

(٦٩) الكرمل ١١٢٧، ص ٢. الكرمل ١١٣٧، ص ٢. الكرمل ١١٤٢، ص ٣.

(٧٠) هانكين: ولد في روسيا عام ١٨٦٤م وهاجر إلى فلسطين عام١٨٨٢م وفي عام ١٩١٥م نفي من قبل الدولة العثمانية إلى خارج فلسطين وعاد إليها بعد انضوائها تحت الاحتلال البريطاني عام١٩١٨م وفي عام ١٩٣٢م عين مديرا لشركة تطوير فلسطين وتقدر مساحة الأرض التي اشتراها لصالح الشركة بـ (٦٠٠٠٠٠) دونم ولهذا يعد من اشهر خبراء الأراضي وكان يعرف بـ "السمسار الصهيوني الكبير" واستمر في عمله إلى أن توفي عام ١٩٤٥م: الكرمل ١١٥٣، ص١. فلسطين ١٧١٩، ص ٤. الشهادات السياسية، ص ٩١. منصور، ص ٢٨٨. لامنس، ص ١٠٩٣. الدباغ، ج٧، ص ٦٨٩. ولترلين، ص ٤٨-٤٩. افنيري، ص ١٠٩.

الألمانية في بيروت، الأمر الذي يفسر اختياره مترجما خاصا للسلطان عبد الحميد إبان زيارة الإمبراطور الألماني لاسطنبول عام ١٨٩٨م، حيث تمكن المستوطنون الهيكليون الألمان عام ١٩٠٦م[٧١] من شراء (١٦٧٥١) دونماً تمتد في قريتي أم العمد وبيت لحم[٧٢].

وفي ظل الحكومة الاتحادية، التي ألغت جميع القيود المفروضة على تملك اليهود في فلسطين[٧٣]، تمكنت الحركة الصهيونية بين أعوام ١٩١٠-١٩١٤م من شراء (٦٢٤١٥) دونماً، منها (٩٤١٥) دونماً تعود لقرية الفولة، و(٥٣٠٠٠) دونم تعود لمدينة الناصرة، وذلك بالرغم من المعارضة الشديدة التي أبداها قائم مقام الناصرة شكري العسلي، نظرا لتواطؤ والي بيروت مع الحركة الصهيونية وسماسرتها. وبرحيل الحكم العثماني، خلال فعاليات الحرب العالمية الأولى، ودخول الاحتلال البريطاني، انفتح الباب على مصراعيه أمام تغلغلها، وبموجب ذلك تجددت المفاوضات الحثيثة بين نجيب والبرت ابني يوسف سرسق، وممثل شركة تطوير أراضي فلسطين في الاسكندرية عام١٩١٩م لشراء مساحات أخرى من أراضيهم في سهل المرج، وانتهت عام ١٩٢٠م بإبرام صفقة قوامها (٧١٣٥٦) دونماً، وكان ذلك مقدمة لإبرام عشرين صفقة متتالية انتهت عام ١٩٢٥م، وكانت محصلتها (٢٤٠٠٠٠) دونم من أراضي المرج استحوذت حصة نجيب منها على (٦٦٠٠٠) دونم، وذلك مقابل (٨٠٠٠٠٠) جنيه إسترليني[٧٤].

وبالرغم من الصيحات المدوية، التي كانت تدعو حكومة الانتداب لوضع حدٍّ لمسألة بيع الأراضي، من جانب المزارعين والمتضامنين معهم، وبعض أعيان الحركة الوطنية، فان

---

(٧١) المعلوف، ص ٣٩٠-٣٩١. الحكيم، ص ٢٥٠.

(٧٢) ولاية بيروت القسم الجنوبي، ص ٢٣٨. الدباغ، ج ٧ نص٥٧٦ -٥٧٧.

(٧٣) عوض، مقدمة، ص٣١.

(٧٤) يعد شكري العسلي (١٨٦٨ – ١٩١٦م) من ابرز رجالات الحركة الوطنية العربية الذين دافعوا عن فلسطين في مواجهة التغلغل الاجنبي ابان قائمقامية في مدينة الناصرة وتمثيله لمدينة دمشق في مجلس المبعوثان: الزركلي، ج ٣، ص ١٧٢، منصور، ص ٢٨٧-٢٨٨. الكرمل ٦٧٩، ص ٣. الكرمل ٧٠٧، ص ٢. الكرمل ١٥٤٢ ص ٦. الكرمل ١٥٧٠، ص ٦. الكرمل ١٧٠١، ص ٨. Stein,P.5

حكومة الانتداب لم تستجب لذلك، بل رأت فيه عملا يعود بالفائدة على المزارعين العـــرب، وتواطأ معها الطابور الخامس من السماسرة والملاكين الكبار، وبعض الزعامـــات المتنفــذة، فصدرت مجموعة من الأوامر والإجراءات التي تضيق على المـــزارعين لـــصالح الحركـــة الصهيونية(٧٥).

وبحلول عام ١٩٣٦م، استطاعت الحركة الصهيونية إلى حدٍّ كبير، أن تحكم ســيطرتها على جميع أراضي السراسقة، وذلك على النحو المبين في الجدول رقم (٥).

جدول (٥): التغلغل الاستعماري في أراضي السراسقة(٧٦)

الرقم	الموقع	التاريخ	المساحة	ملاحظات
١	أم جوني	١٩٠٠	١٠٠٠٠	اشتملت على جميع أراضي القرية.
٢	مسحة	١٩٠١	٧٠٠٠	اشتملت على جميع أراضي القرية.
٣	الفولة	١٩١٠	١٢٤١٥	الكيرن كايمت وشركة تطوير الأراضي.
٤	مدينة الناصرة	١٠-١٩١٤	٥٣٠٠٠	شركة تطوير أراضي فلسطين.

(٧٥) اليرموك ١٢٣، ص ٣. الوقائع ٣٨، ص ١٠.

(٧٦) دفتر (٣٨) الناصرة، ص ٩. اليرموك ٢، ص١. اليرموك ٢٥، ص ٢. اليرموك ١٢٣، ص ٣. الكرمل ٦٧٣، ص ٢. الكرمل ٦٧٦، ص ٣. الكرمل ٧٠٧، ص ٢. الكرمل ١١٠٣، ص ٤. الكرمل ١١١٩، ص ٢. الكرمل ١١٣٤، ص ٢. الكرمل ١١٦٩، ص ٦. الكرمل ١٤٦٧، ص ٨. الكرمل ١٤٦٩، ص ٥. الكرمل ١٥١٨. ص ٤. الكرمل ١٥٤٨، ص١. الكرمل ١٥٥٤، ص ٤. الكرمل ١٥٦٤، ص ٨. الكرمل ١٥٧٧، ص١. الكرمل ١٦٤٩، ص ١-٥. الكرمل ١٦٩٩، ص ٢. الكرمل ١٧٠٢، ص ٤. فلسطين ١٣١٥، ص ٢. فلسطين ١٦٤٨، ص٤. فلسطين ١٦٦٢، ص ٢. الجامعة ٩٩١، ص ٤. الجهاد ١٧٠، ص ١-٧. السفري، ص ٢١٩. جريس، ج ٢ ص ١٣١-١٣٢، ١٤٨، ٢٧٨. خلة، ص ٤٩٢.البديري، ص ٢٤٠-٢٤٢. الحزماوي ٢٦٩.عبد القادر، ص ٣٠٥. صيقلي، ص ١٦٤. افينيري، ص ٩٤-٩٥، ١٥٨، ١٧٣-١٧٤، ١٨١. افنيري، ص ٦٥، ٩٤، ٩٧-٩٩، ١٠٣، ١٠٩، ١١٢، ١٨٦-١٨٧. العارف، المفصل، ص ٣٩١. الدباغ، ج ٧، ص ٢٤-٢٥، ٤٢، ١٣٥-١٥٤. وثائق المقاومة الفلسطينية، ص ٨٤. وولترلين، ص ٤٨.عوض، مقدمة، ص١٤٢.
Oliphant, Gilead, P.329. Stein, P.56. Waizmann, ch. Trial and Error, Hamish Hamilton, London, 1949. p. 316

... تابع جدول رقم (٥)

الرقم	الموقع	التاريخ	المساحة	ملاحظات
٥ -٢٧	*سهل مرج ابن عامر: - العفولة، خنيفس، جباتا، سولم، سمونه، أم قبي، تل الشـــمام، جنجار، تل عدس، الياجور، جيدا، الوركاني، المجيدل الهربج، الشيخ بريق، معلول مزرعة عين شيخة، مزرعة المدورة، مزرعة عين البيضا، مزرعة صفصافه، مزرعة المقبية، مزرعة السمونية، عرب المزاريب.	٢٠ -١٩٢٥	٢٤٠٠٠٠	وقد تم شراء هذه المساحة في سهل مرج ابن عامر وجاء ذلك عبر (٢٠) صفقة متتالية واشتملت على (٢٢) موقعا تنتشر في معظمها في سهل المرج ومناطق الشفا المطلة عليه وانتقلت في مجملها إلى المؤسسات الصهيونية وفي مقدمتها شركة تطوير أراضي فلسطين والصندوق القومي اليهودي الكيرين الكايمت ففي صيف عام ١٩٢٠م ابرم السراسقة صفقة بـــ (٨٠٠٠٠) دونم وهي اكبر صفقات البيع في المرج وفي أواخر عام١٩٢٢م ابرمت صفقة بـــ (٧٠٠٠٠) دونم.
٢٨ -٣١	*نورس وملحقاتها: نورس، عين حادور الطواحين.	٢٠ -١٩٢٥	٢٩٤٥٤	شركة تطوير أراضي فلسطين.
٣٤	الطيرة	١٩٢٥	٨٠٠٠	الصندوق القومي اليهودي"الكيرن كايمت"
٣٥ -٣٦	*حوض الجالود: تل الفر، جالود.	٢٠ -١٩٢٥	٣٠٠٠٠	
٣٧ -٤٣	*ساحل عكا وحيفا: عرب الكواملة، والقرابصة جدور، الكردانه، الحارثية، كفرتا، الرمل، تل الفار.	٢٥ -١٩٢٦	٩٠٠٠٠	وقد أشارت بعض المصادر إلى أن ملكية السراسقة التي انتقلت إلى الحركة الصهيونية قد فاقت الـــ (٩٠٠٠٠) دونم، وتم نقلها إلى شركة تطوير أراضي فلسطين.

... تابع جدول رقم (٥)

الرقم	الموقع	التاريخ	المساحة	ملاحظات
٤٤	العفولة	٢٦-١٩٢٧	١٩٥٠٠	
٤٥-٤٦	*طبعون وملحقاتها: طبعون قصقص	١٩٣٠	٩٢٨١	
٤٧	قيرة وقامون	١٩٢٥	١٨٤٨٩	شركة تطوير أراضي فلسطين.
٤٨	شطة	١٩٠٠	١٠٠٠٠	شركة تطوير أراضي فلسطين.
٤٩	*امتياز الحولة: بحيرة الحولة والمستنقعات القائمة في سهول الحولة إلى الشمال من البحيرة.	١٩٣٤	٩٦٠٠٠	شركة تطوير أراضي فلسطين وقد تأخر إنفاذ المشروع بسبب ثورة عام ١٩٣٦م وعدم توافر المعدات الثقيلة واستمر ذلك حتى عام ١٩٥١م وبعد مسح المنطقة تبين أنها تستحوذ على (١٩٢٠٠٠) دونم وليس (٥٧٠٠٠) دونم كما جاء في صك الامتياز منها (١٥٧٠٠) دونم خاصة بالمزارعين العرب وفقا لشروط الامتياز.
٥٠	عرب الزبيدات	١٩٣٥	٤٢٠٠	شركة تطوير أراضي فلسطين.
٥١	ساحل جنوب حيفا	(؟)	٦٠٠٠٠	شركة تطوير أراضي فلسطين.
٥٢	الملاحة	١٩٠٠	١٨٠٠٠	
٥٣-٦٠	أم التوت، قومية، حنيفات منجر، تل سماح، قباطيـــة، صندلا، المجدل.	(؟)	(؟)	
المجموع		**-١٩٣٦**	**٧١٤٨٢٦ بالاضافة الى المواقع من (٥٣ – ٦٠)**	

وبموجب ما أظهره الجدول، فإن مشتريات الحركة الصهيونية من أراضي السراسقة قد أسهمت في رفع حجم الأراضي التي آلت إلى الحركة الصهوينة عام ١٩٢٥م من (٩٠٠٠٠) دونم إلى (١٠٠٠٠٠٠) دونم، كما شكلت نسبة كبيرة من إجمالي الأراضي التي اشترتها مـــن الملاكين غير الفلسطينيين، أو ما يوازي ٣٤,٥% من إجمالي الــ (٢٠٧٥٠٠٠) دونم التـــي استحوذت عليها قبل عام ١٩٤٨م(٧٧)، فقد أشارت جريدة الكرمل أن الأراضي الممتدة "مـــن أبواب حيفا إلى أبواب بيسان انتقلت إلى أيدي الصهيونيين ..... مسافة ٥٢ كليومترا والقـــسم

(٧٧) الكرمل ١١٣٤، ص١.

الكبير من أهاليها رحلوا عنها، والقسم الباقي على وشك الرحيـل...."[٧٨]، ناهيـك عـن الأراضي التي استولت عليها من أراضي القرى المجاورة خلسة بحجة أنهـا اشـترتها مـن السراسقة[٧٩].

ونلاحظ أن التسهيلات التي اقتضت تسفير المعنيين بالبيع من السراسقة بالطـائرة مـن بيروت إلى يافا لإبرام عقد البيع، والعودة في نفس اليوم، والعروض المالية الضخمة التـي قدمتها المؤسسات الصهيونية وسماسرتها تعد من أهم العوامل التي دفعت بالسراسقة إلى بيـع ملكيتهم، ولم نلمس أيَّ تأثير لنصوص معاهدة فرساي عليهم، والتي قضت بمنـع الملاكـين السوريين واللبنانيين من إدارة ملكياتهم في فلسطين[٨٠].

ب. ترحيل المزارعين

أقر السراسقة المزارعين في أراضيهم على نصيب معين من الإنتاج، وذلـك بهـدف تحقيق اكبر قدر من الأرباح. وقد رأى المزارعون في هذا الإجراء نظامَ إلجاء مناسب يحقق لهم كسب العيش والحماية، وحفظ حقوقهم في أراضيهم غير القابلة للمساومة بموجب أحكـام الأراضي التي تكفل بحمايتها وإنفاذها السدة السلطانية المؤتمنة علـى أمـوالهم، وان نقـل تصرفهم إلى السراسقة لا يسقط حق ملكية رقبتها من الخزينة المالك الحقيقي للأرض، ولهذا أبطلت الحكومة العثمانية بعض صفقات البيع الأولى التي أبرموها مع الحركة الصهيونية[٨١]. ومع دخول الاحتلال البريطاني، وفرض الانتداب تحلل السراسقة من القيود التي كانت تحـد من نقلها للحركة الصهيونية غير آبهين بما سيلحق بالمزارعين من أضرار فادحة في أعقـاب

---

(٧٨) الكرمل ١١٩٦، ص١١-١٢. الكرمل ١٣٧٣، ص ٤. السفري، ص ٢١٨-٢١٩. انظر أيضا: الغوري، ص ٦٤-٦٦. العارف، النكبة، ج ٣، ص ٦٥٦.

(٧٩) الكرمل ١١٧٧، ص ٨. الكرمل ١٥٥٤، ص ٤. الكرمل ١٥٧٠، ص ٦. الكرمل ٢٠٠٣، ص ٨. اليرموك ١٢٢، ص١. الغوري، ص ٦٤-٦٦. البديري، ص ٢٤١-٢٤٢

(٨٠) الجهاد ١٦١، ص ٢. فلسطين ١١٩١، ص ٧. الكرمل ٢٠١٧، ص ٣.

(٨١) قانون الأراضي، المادة (١-١٣٢) اليرموك ٤٠، ص ٣. اليرموك ٨٩، ص١. اليرموك ١٢٦، ص٢. الجامعة ٩٨٨، ص ٥. فلسطين ١١٩١، ص ٧.

تنازلهم عنها بخاصة، وفلسطين بعامة[٨٢].

وبالرغم من نزاعهم المرير مع المزارعين على ما استصلحوه من الأراضي خارج إطار ملكيتهم، فانهم كانوا يدركون الأبعاد القانونية المترتبة للمزارعين في الأرض بصرف النظر عن الكيفية التي آلت إليهم. فقبل إبرام صفقة العفولة نجدهم يعدون مزارعيها بـ (٤٠٠٠-٥٠٠٠) دونم من أصل (١٥٥٠٠) دونم، وأهالي نورس بـ (٦٠٠٠-٨٠٠٠) دونم من اصل (٢٩٤٥٤) دونم[٨٣]، ثم تقلصت إلى (٢٠٠٠) دونم؛ أي ما يوازي (٤٠-٥٠) دونماً للأسرة الواحدة[٨٤]، إلى جانب الأراضي المستصلحة، إلا أن هذه الوعود سرعان ما تبددت، وعندما عزم السراسقة على إجراء مقاسمة محددة على الأرض مع مزارعي نورس عام ١٩١١م استخلصوا لأنفسهم الأراضي السهلية الغنية بالمياه، في حين تركوا الصخرية منها للمزارعين، ممَّا دفعهم إلى الرحيل إلى قرية رمانة القائمة إلى الغرب من جنين[٨٥].

وقد بدأت عمليات الترحيل بمزارعي قرية العفولة عام ١٩٢٤م[٨٦]، وبلغت ذروتها في عام ١٩٣٠م، وذلك عندما تمكنت الحركة الصهيونية من إجبار (١٧٤٦) عائلة أو ما يوازي (٨٧٣٠) نسمة تقيم في (٢٢) قرية تنتشر في مرج ابن عامر، والتلال المحطة به على الرحيل مستندة في ذلك إلى قرارات المحاكم البريطانية التي كانت تمنحهم أياماً معدودة للرحيل، وإذا ما رفضوا تلك القرارات فان قوات البوليس المدججة بالسلاح، وجموع المستوطنين تقف على أهبة الاستعداد لإجلائهم بالقوة، ونتيجة لذلك بلغ إجمالي المواقع

---

(٨٢) اليرموك ٢٥، ص ٢. اليرموك ١٢٢، ص١-٢. اليرموك ١٢٣، ص ٣. الجامعة ٩٩١، ص ٤. الجامعة ١٠٢٠، ص ٥.

(٨٣) قارن بين التالية: - الكرمل ١٥٤٢، ص ٦. الكرمل ١٥٩٦، ص ٨. اليرموك ٤٠، ص ٣. افنيري، ص ١٠٩-١١٠. الحزماوي، ص ٢٩٧. Granvosky,P.260

(٨٤) فنيري، ص ١١٠، ١١٩. الحزماوي، ص ٢٩٧. Granvosky ,P.93

(٨٥) لجامعة ٧٨٢، ص ٥. اليرموك ٢٥، ص ٢. الكرمل ١٤١٦، ص ٥. الكرمل ١٥٩٦، ص ٨.

(٨٦) ليرموك ٢٥، ص ٢. اليرموك ٤٠، ص ٣. فلسطين ٧٣٥، ص ٢.

المرحّلة في نهاية عام ١٩٣٥م (٥٠) قرية وقبيلة(٨٧).

وفي المقابل، دافع المزارعون عن ممتلكاتهم دفاعا مستميتا، فلم ينفذوا قرارات الإخــلاء الصادرة عن المحاكم البريطانية، وتصدوا ببسالة للبوليس وجموع المستوطنين الــذين قــدموا لإخراجهم من بيوتهم، وحراثة أراضيهم بالقوة. ونتيجة لذلك، قــدموا العديــد مــن الــشهداء والجرحى والأسرى الذين أودعوا في سجن عكا الــشهير، وتقــديمهم للمحــاكم البريطانيــة، وحملهم على دفع غرامات مالية باهظة. وفي ضوء ذلك، كانت قوات البوليس والمــستوطنين تستفرد بالأهالي دون الرجال، وحملهم على إخلاء بيوتهم ومخيماتهم، ومن ثم هدمها وتسويتها بالأرض، وترك أهاليها وشأنهم يهيمون فــي العــراء علــى وجــوههم، وحراثــة الأرض بالجرارات، وقلب ما فيها من المحاصيل. وإزاء ذلك لم يتوانوا عــن تقــديم الاعتراضــات لحكومة الانتداب، والتعبير عن تظلماتهم في الصحف والمهرجانــات والاعتــصامات وأمــام الهيئات الدولية والملكة البريطانية، وحكومتها وقداسة الفاتكان وحث قيادة الحركــة الوطنيــة الفلسطينية والعربية وملوك ورؤساء الدول العربية على مآزرتهم في محنتهم التي تــستهدف الوجود العربي بعامة، وفلسطين بخاصة، ونتيجة لسياسة الأمر الواقع، التي فرضها الاستعمار البريطاني، لجأ جموع المهجرين إلى القرى والمدن المجاورة، ولم يتوانوا عن الانخراط في صفوف المقاومة الفلسطينية ضد حكومة الانتداب والحركة الصهيونية(٨٨).

(٨٧) اليرموك ١٢٢، ص١-٢. اليرموك ١٢٣، ص١-٣. اليرموك ١٢٦، ص ٢. الجامعة ٣، ص ٥. الجامعة ٧٨٢، ص ٥. الجامعة ٨١١، ص ٥. الجامعة ٩٨٨، ص ٥. الجامعة ٩٩٠، ص ٧. الجامعة ٩٩١، ص ٤. الجامعة ٩٩٢، ص١. الجامعة ١٠٢٠، ص ٥. فلسطين ١١٩١، ص ٧. الكرمل ٦٧٦، ص ٣. الكرمل ١٥٨٠، ص ٥. الكرمل ١٦٦٢، ص ٥. الكرمل ١٩٩٥، ص ٨. فلسطين ٧٣٥، ص ٢. الحزماوي، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٨٨) اليرموك ٥، ص ٣. اليرموك ٢٥، ص ٢. اليرموك ٤٠، ص ٣. اليرموك ٨٩، ص١. اليرموك ١٢٢، ص ١-٢. اليرموك ١٢٣، ص ١-٣. اليرموك١٢٦، ص ٢. الجامعة ٣، ص ١-٣. الجامعة ٧٨٢، ٨، ص ٥. الجامعة ٨١١، ص ٥. الجامعة ٩٩٠، ص ٧. الجامعة ٩٩١، ص ٤. الجامعة ٩٩٢، ص١. الجامعة ٩٨٨، ص ٥. الكرمل ٢٠٠٤، ص ٥. فلسطين ٣٩٣، ص ٣. فلسطين ٧٣٥، ص ٢.

ونلاحظ أن أهالي القرى المستهدفة لم يدخروا جهدا في الحفاظ على حقوقهم، وكانوا على قدر كبير من الوعي والإحاطة بدقائق الأمور، فأهالي قرية معلول، الذين رحلوا عن قريتهم بالقوة، على سبيل المثال، استطاعوا أن يثبتوا أن غاباتهم ومراعيهم البالغة (٧٠٠٠) دونم ظلت قائمة على أسمائهم نظرا لعدم تسجيلها على أسماء السراسقة من قبل الدولة العثمانية، وقد حاولت الحركة الصهيونية، من خلال حكومة الانتداب وسماسرتها، إقناعهم بإجراء مبادلات على الأرض في مناطق أخرى من أراضي الجليل، إلا أنهم رفضوا تلك العروض وقد ظلت تفاعلات القضية مستمرة منذ عام ١٩٣٠م وحتى نكبة عام ١٩٤٨م[٨٩].

ج. بناء المستوطنات

واكب بناء المستوطنات، إلى حد كبير، إبرام الصفقات من ناحية، وترحيل المزارعين من ناحية أخرى، وبحلول عام ١٩٤٨م كانت الحركة الصهيونية قد أقامت على أنقاضها حوالي(٥٩) مستوطنة، كما هو مبين في الجدول رقم (٦).

---

(٨٩) الجامعة ٣، ص ٥. الجامعة ٩٩١، ص ٤. الكرمل ٦٧٦، ص ٣. الكرمل ١٥٨٠، ص ٥. الكرمل ١٦٦٢، ص ٥. الكرمل ٢٠٠٣، ص ٨. اليرموك ٢٥، ص ٢. اليرموك ٤٠، ص ٣. اليرموك ٤٥، ص ٣. اليرموك ١٢٢، ص١. اليرموك ١٢٣، ص١-٣. فلسطين ٣٩٣، ص ٣. الحزماوي، ص ٢٩٩-٣٠٠.

جدول (٦): المستوطنات الألمانية والصهيونية المقامة على أنقاض ملكية السراسقة[٩٠]

الرقم	المستوطنة	التاريخ	الموقع العربي	الرقم	المستوطنة	التاريخ	الموقع العربي
١	مينا حيميا	١٩٠١	أم جوني	٣٢	كفار بياليك	١٩٣٤	سهل عكا
٢	كفار طابور	١٩٠٢	مسحة/ جبل طابو	٣٣	الرئي	١٩٣٥	الشيخ بريك
٣	والدهايم	١٩٠٦	أم العمد	٣٤	بيت هاشطة	١٩٣٥	شطة
٤	دجانيا	١٩٠٩	ام جوني	٣٥	شعارهاعميقم	١٩٣٥	الشيخ بريك
٥	مرحافيا	١٩١١	الفولة	٣٦	قريات هاروشت	١٩٣٥	الشيخ بريك
٦	مصنع نيشر	١٩١١	الياجور	٣٧	كيرة كمون	١٩٣٥	قيرة وقامون
٧	تل يوسف	١٩٢١	عين حادور	٣٨	يقنعام	١٩٣٥	قيرة وقامون
٨	نهلال	١٩٢١	معلول	٣٩	بيت شعاريم	١٩٣٦	جيدا
٩	بلفوريا	١٩٢٢	الناصرة	٤٠	كفار مكابي	١٩٣٦	كفريتا
١٠	جنجار	١٩٢٢	جنجار	٤١	هازروعا	١٩٣٦	قيرة وقامون
١١	مرحافيا	١٩٢٢	الفولة	٤٢	اوسا	١٩٣٧	كفرتا
١٢	ياجور	١٩٢٢	الياجور	٤٣	قريات عامال	١٩٣٧	الشيخ بريك
١٣	تل عداشيم	١٩٢٣	تل عدس	٤٤	الوتيم طبعون	١٩٣٨	طبعون
١٤	كفار جدعون	١٩٢٣	تل عدس	٤٥	كفار مازاريك	١٩٣٩	ساحل عكا
١٥	مزراع	١٩٢٣	تل عدس	٤٦	عافيق	١٩٣٩	سهل عكا
١٦	بلفوريا التحتا	١٩٢٤	الناصرة	٤٧	جفعت زيد	١٩٤٣	الشيخ بريك
١٧	بلفورا الفوقا	١٩٢٤	الناصرة	٤٩	عين هاعيمق	١٩٤٤	قيرة وقامون
١٨	كفار حسيديم	١٩٢٤	الهربج	٥٠	قريات يام	١٩٤٦	سهل عكا
١٩	مجموعة مرحافيا	١٩٢٤	الناصرة	٥١	مشمار هيام	١٩٤٧	سهل عكا
٢٠	عفولا	١٩٢٥	العفولة	٥٢	بيت لحم هاعيليت	١٩٤٨	بيت لحم
٢١	كفار اتا	١٩٢٥	كفريتا	٥٣	نورت	؟	نورس
٢٢	جفات	١٩٢٦	جباتا	٥٤	بيتالفا	؟	؟

(٩٠) الكرمل ١٧٠٧، ص ٦. الكرمل ١٧٠٩، ص ٤. الكرمل ١٧٢١، ص ٣. فلسطين ٤٧٣، ص ٢. فلسطين ٧٣٥، ص ٢. فلسطين ٦٠٩، ص ٦. فلسطين ١١٤٦، ص١. اليرموك ٢٥، ص ٢. اليرموك ٤٠، ص ٣. الجهاد ٨٦٦، ص ٢. السفري، ص ٢١٩. الدباغ، ج ١، ص ١٧٥-١٧٧، ج ٧، ص ١٤١، ١٥٣-١٥٤، ٥٨٢، ٦٦٩-٦٧٦. جريس، ج ٢، ص ١٤٨. افنيري، ص ١٠٣.

... تابع جدول رقم (٦)

الرقم	المستوطنة	التاريخ	الموقع العربي	الرقم	المستوطنة	التاريخ	الموقع العربي
٢٣	رامات ديفيد	١٩٢٦	الناصرة	٥٥	عين حادور	؟	عين حادور
٢٤	ساريد	١٩٢٦	خنيفس	٥٦	كفار يحزقيل	؟	؟
٢٥	كفار باروخ	١٩٢٦	الوركاني	٥٧	كومي	؟	؟
٢٦	سدي يعقوب	١٩٢٧	الشيخ بريك	٥٨	محنا اسرائيل	؟	؟
٢٧	كفار يهوشوع	١٩٢٧	تل الشمام	٥٤	بيتالفا	؟	؟
٢٨	رامات يشاي	١٩٣٢	جيدا	٥٩	يسود حمالا	؟	بحيرة الحولة
٢٩	قريات حايم	١٩٣٣	سهل عكا				
٣٠	كفارهاحوروش	١٩٣٣	الناصرة				
٣١	قريات موسكن	١٩٣٤	حيفا				

نلاحظ من خلال بيانات الجدول، أن ٧٠% من المستوطنات الصهيونية، التي أقيمت على أراضي السراسقة قد بنيت ما بين ١٩٢٠-١٩٣٨م، وجاء ذلك متزامنا مع صفقات البيع والشراء التي أبرمها السراسقة وحملات تهجير المزارعين، وموجات الهجرة الصهيونية الكثيفة التي شهدتها فلسطين، ما بين استبدال الحكم العسكري البريطاني بحكم مدني، وتعيين هربرت صمويل الوزير البريطاني الصهيوني مندوبا على فلسطين عام ١٩٢٠م، واشتعال فتيل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، ومحاولة بريطانية الحد من نشاط الهجرة بهدف تهدئة المقاومة العربية. وما إن اتضحت نتائج الحرب لصالح الحلفاء، حتى عادت إلى سياستها السابقة في دعم سياسة ترحيل المزارعين، وبناء المستوطنات وفتح أبواب الهجرة من جديد[٩١].

رابعاً: النتائج

خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

(٩١) فلسطين ١١٤٦، ص١. الكرمل ١١٩٦، ص ١١-١٢. الكرمل ١٣٦٠، ص ٤. الكرمل ١٣٩٠، ص ٣. الكرمل ١٤٣٩، ص ٢.

١. أن ملكية السراسقة، بانتشارها في (٦٠) موقعا من المواقع المأهولة المدنية والريفية والبدوية، واستحواذها على ما يقرب من ألـ (٨٠٠٠٠٠) دونم، قد احتلت المرتبة الأولى في قائمة الملكيات الكبيرة التي تشكلت في فلسطين بأيدي عربية غير فلسطينية.
٢. أن فكرة الرابطة العثمانية، التي كانت تربط بين جميع رعايا الدولة العثمانية من مسلمين وغير مسلمين، قد أسهمت في إحالة مزايدة الأراضي على السراسقة دون خوف أو وجل مما آلت إليه حقوق التصرف القائمة عليها بعد أن رفعت عن المزارعين، ومنحت من جديد للسراسقة بموجب أحكام الأراضي طالما أن رقبة الأرض ظلت بيد الخزينة أو وزارة المالية - بيت المال – المالك الحقيقي لها، وتتقاضى المخصصات الضريبية المترتبة عليها، ولا يحق للمتصرفين الجدد التنازل عنها للأجانب إلا بعد أَخذ موافقة السلطان أو من ينوب عنه، إلا أن هذه المعايير تبدلت بعد عزل السلطان عبد الحميد عن سُدَّة الحكم عام ١٩٠٩م، وتولي حكومة الاتحاد والترقي مقاليد الأمور.
٣. أن حل عقود التصرف التي هي بحكم عقود الإيجار، من قبل الحكومة العثمانية المالك الحقيقي للأرض، أو المؤتمنة على أموال الرعية عن مزارعيها، وإبرامها من جديد مع السراسقة، لم تطل رقبة الأرض التي ظلت بيد الخزينة، وبالتالي فان إقدام السراسقة على نقلها إلى الحركة الصهيونية، في ظل الحكم العثماني، وبعد رحيله عنها، إبان عهد الانتداب البريطاني، لابد أن يظل في حكم عقود الإيجار، وان محاولات كل من البائع أو المشتري التصرف في بيع أو شراء حقوق مادية أو معنوية لا سلطان له عليها، لابد أن تصبح مجرد سخرية مضحكة.
٤. أن السراسقة لم يقيموا أي وزنٍ للروابط القومية والتاريخية التي تربطهم بالأمة العربية والإسلامية، وقد دفعتهم تطلعاتهم الرأسمالية، وجشعهم المادي للانخراط في صفوف الطابور الخامس الذي شرع يعمل لصالح الحركة الصهيونية سرا وعلانية، دون الاكتراث بما سيترتب على ذلك من نتائج وخيمة على المستوى المحلي والإقليمي، بالرغم من الصيحات المدوية التي كانت تتعالى بين حين وآخر حول الأهداف البعيدة المدى للمشروع الصهيوني من جانب رعايا الدولة العثمانية المسلمين منهم وغير

المسلمين.

٥. أن إبرام عقود صفقات البيع والشراء في ظل الاستعمار البريطاني، واعتراف السراسقة للمزارعين ببعض الحقوق المادية والمعنوية، وإقرار الحركة الصهيونية بها، وإقدامها على دفع مبالغ طائلة للسراسقة مقابل الحصول على حقوق التصرف بها، يُعد دليلاً قاطعاً على أن فكرة الحقوق التاريخية والأرض الموعودة التي روجت لها الحركة الصهيونية ما هي إلا غطاء واهٍ نسجته القوى الاستعمارية الكبرى في القرن التاسع عشر، ولا تزال أصداؤه تتردد إلى يومنا هذا.

٦. أن تنازل بعض المزارعين عن حقوق التصرف في أراضيهم للسراسقة من تلقاء أنفسهم، وقبض ثمنها منهم، لا يسقط حق الأمة في ملكية رقبتها، وبصرف النظر عما طرأ على الأرض من تحولات فان حقوق الأمة المالكة لرقبة الأرض لا تزال قائمة، ولا يمكن أن تسقط بتقادم الزمن والأيام.

٧. أن الوعود التي قطعها السراسقة للمزارعين، وأقرتها الحركة الصهيونية، والتي تقضي بمنحهم مساحات واسعة من أراضيهم، وتسجيلها على أسمائهم من جديد، يُعد دليلاً قاطعاً أيضا على أن حقوقهم المكتسبة فيها لا تزال قائمة في ظل سطوة السراسقة، من ناحية وقوة الحركة الصهيونية المادية والعسكرية المدعمة بقوة البوليس الذي كان على أهبة الاستعداد لتنفيذ مهام ترحيلهم عنها، كما أن التعويضات المادية البسيطة التي قدمتها الحركة الصهيونية لبعض المزارعين المرحلين من قراهم وأراضيهم، وجاءت في إطار التسويات التي سعت حكومة الانتداب إلى فرضها على المزارعين لا تسقط حقوقهم المتوارثة بتقادم الزمن بأية حال من الأحوال؛ لأن تلك التسويات فرضت عليهم بالقوة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ. سجلات المحاكم الشرعية العثمانية:

١) سجلات محكمة جنين الشرعية، محكمة جنين الشرعية، جنين، فلسطين، غير مفهرسة.

٢) سجلات محكمة حيفا الشرعية، ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
٣) سجلات محكمة الخليل الشرعية، ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
٤) سجلات محكمة القدس الشرعية، ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
٥) سجلات محكمة نابلس الشرعية، ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
٦) سجلات محكمة يافا الشرعية، ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

ب. دفاتر الطابو العثمانية١٢٨٥ هـ/١٨٦٩م – ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م، غير مفهرسة، دائرة الأراضي والمساحة، قسم التوثيق التصوير، عمان، الأردن:

٧) دفتر (١) يوقلمة التينة، ١٢٩٢ مالية.
٨) دفتر (٢) يوقلمة اذنبه، ١٢٩٥ مالية.
٩) دفتر (١١) تحقيات أراضي عن القرى الشمسية وغور بيسان، ١٢٨٦ -١٢٨٨ مالية.
١٠) دفتر (١٢) كشف مزايدة، ١٢٨٦ مالية.
١١) دفتر (١٢) يوقلمة كفر لام، ١٢٩٩ مالية.
١٢) دفتر (٢٨) محلولات السلطان عبد الحميد، ١٣٢٧ مالية.
١٣) دفتر (٣٨) دفتر الناصرة أو سكة الحجاز، ١٣٣٢ مالية.

ج. الجرائد:

١٤) جريدة الاتحاد العثماني، بيروت (ميكروفيلم) محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
١٥) جريدة البشير، بيروت (ميكروفيلم) محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
١٦) جريدة البيان، نيويورك (ميكروفيلم) محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

١٧) جريدة الجامعة الإسلامية، يافا (الأصل) محفوظة في مكتبة بلدية نابلس، نابلس، فلسطين.
١٨) جريدة الجهاد، يافا (الأصل) محفوظة في مكتبة بلدية نابلس، نابلس، فلسطين.
١٩) جريدة فلسطين، يافا (الأصل) مكتبة بلدية نابلس، نابلس، فلسطين. (ميكروفيلم) محفوظة في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين. (ميكروفيلم) محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
٢٠) جريدة الكرمل، حيفا (ميكروفيلم) محفوظة في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
٢١) جريدة الكوكب، القاهرة (ميكروفيلم) محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
٢٢) جريدة المقتبس، دمشق (ميكروفيلم) محفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
٢٣) جريدة الوقائع، القدس، جريدة حكومة فلسطين الرسمية، القدس، فلسطين (الأصل) محفوظة في مكتبة بلدية نابلس، نابلس، فلسطين.
٢٤) جريدة اليرموك (الأصل) محفوظة في مكتبة بلدية نابلس، نابلس، فلسطين.

د. الخرائط والجولات الميدانية:

٢٥) خريطة فلسطين، جمعية الدراسات العربية، القدس، فلسطين، (١٩٨٨م)، ١:٢٥٠٠٠٠.

26) Conder., C.R, and Kitchener, R.E, Map of Palestine in 26Sheets from Surveys Conducted for the Palestine Exploration Fund, During the Years 1872-1877, 1:63360 Mile , London, (1880).

٢٧) جولة ميدانية، في قرية عربونه، محافظة جنين، ١٩٩٩/١١/٢٥م.

٥. المقابلات الشخصية:

٢٨) مقابلة شخصية، مسعود محمود ابوبكر٩٢ سنة، يعبد محافظة جنين، فلسطين، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.
٢٩) مقابلة شخصية، معروف الأشقر، ١٠٢سنة، يعبد محافظة جنين، فلسطين، ٢٠٠٢/١١/٢٤م.
٣٠) مقابلة شخصية، محمد خليل حمارشة، ٩١ سنة، يعبد محافظة جنين، فلسطين، ١٩٩٩/١١/٢٠م.

٦. كتب النظم والقوانين:

٣١) "الدستور العثماني"، ج ٢، ترجمة نعمة الله نوفل، مراجعة خليل أفندي الخوري، المطبعة

الأدبية، بيروت لبنان، (١٣٠١هـ.)

٣٢) **"قانون الأراضي"**، في: من الدستور الجديد، نقولا أفندي النقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، (١٢٩٠ /١٨٧٣م)، ٣ -٥٨.

٣٣) "لائحة تعليمات بحق سندات الطابو": في: من الدستور الجديد، نقولا أفندي النقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، (١٢٩٠ /١٨٧٣م)، ٧٣ -٨٣.

٣٤) "نظام الطابو": في: من الدستور الجديد، نقولا أفندي النقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، (١٢٩٠ /١٨٧٣م)، ٥٩ -٧٣.

٨. **الكتب المطبوعة:**

٣٥) العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، دار المعرفة، بيروت، لبنان، **١٣**ج، (ت٨٥٢هـ/١٩٨٧م).

٣٦) الحكيم، حسن، "سورية والعهد العثماني"، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، (١٩٦٥م).

٣٧) رستم، أسد، "المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصدها"، بيروت، لبنان، ٤، (١٩٤٠م).

٣٨) الزركلي، خير الدين، "الاعلام"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٨، (١٩٩٠م).

٣٩) السفري، عيسى، "فلسطين بين الانتداب والصهيونية"، مكتبة فلسطين الجديدة، يافا، فلسطين، (١٩٣٧م).

٤٠) "الشهادات السياسية أمام اللجنة الملكية في فلسطين"، مطبعة الشعب، دمشق، سوريا (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م).

٤١) العورة، إبراهيم، "تاريخ ولاية سليمان باشا العادل"، تحقيق قسطنطين الباشا المخلصي، مطبعة دير المخلص، صيدا، لبنان، (١٩٣٦م).

٤٢) الغوري، إميل، "١٥ ايار١٩٤٨"، الكتاب العربي، دار النشر العربية، بيروت، لبنان، (١٩٥٩م).

٤٣) القاياتي، محمد عبد الجواد (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، " نفحة البشام في رحلة الشام"، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

٤٤) لامنس، الأب هنري اليسوعي، اليهود في فلسطين ومستعمراتهم، *مجلة المشرق*، ٢، السنة الثانية "١٨٩٩".

٤٥) المعلوف، عيسى اسكندر (ت١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، "دواني القطوف في تاريخ بني معلوف"، المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، (١٩٠٨م).

٤٦) منصور، اسعد، "تاريخ الناصرة"، القاهرة، مصر، (١٩٢٤م).

٤٧) نيوتن، فرنسيس املي، "خمسون عاما في فلسطين"، عمان، الأردن، (١٩٦٧م).

٤٨) "وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني ١٩١٨ –١٩٣٩م"، جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، (١٩٨٨م).

٤٩) "ولاية بيروت القسم الجنوبي"، مطبعة الاقبال، بيروت، لبنان، (١٣٣٥هـ).

50) Bergheim, Samuel: “Land Tenur in Palestine”, in *PEFQS*, (1894).

51) Conder, C.R, “Tent Work in Palestine”, London, **2**, (1878).

52) Granoresky, A.: “The Land I ssue in Palestine”, Jerusalem, Keren, Kaymeth Lay, Israel, (1936).

53) “The Present Condition of Palestine”, in *PEFQS*, (1879).

54) Dalman, G.H.: “Gegenwartiger Bestand Des Judischen Colonien in Palastin”, *ZDPV*, **16**, 193-202.

55) Studien Aus Vem Deutschen Eveng Archaolog Institut Zu Jurusalem”, *ZDPV*, **28**, (1905), 36-39.

56) Finn, James, Stirring, Times, “Or Recorda From Jerusalem Consular Chronnicles of 1853To1856”, London, **2**, (1878).

57) Granott,A.: “The Land System in Palestine”, London, (1952).

58) Granvosky

59) Oliphant, Laurence: “The Land Of Gilead with Excursion in the Lebanon”, Edinburgh and London, (1880).

60) “Haifa or Life in the Holy Land1882-1885”, Jerusalem, (1976).

61) Tristram. H. “B the Land Of Moab”, London, (1873).

62) “The Land Of Israel”, London, (1882).

63) “Palestine Exploration Fund Quartery Statement”, *PEFQS*, London, **1878**., (1878).

64) Weizman, ch. “Trial and Error, Hamish Hamilton”, London, (1949).

ثانيا: المراجع:

٦٥) أبو بكر، امين، "ملكية الأراضي في متصرفية القدس ١٨٥٨ -١٩١٨م"، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان الأردن، (١٩٩٦م).

٦٦) البديري، هند امين، "اراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ"، الامانة العامة، جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر، (١٩٩٨م).

٦٧) افنيري، أريه، "دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي والعربي١٨٨٧-١٩٤٨"، ترجمة بشير البرغوثي، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، (١٩٨٦م).

٦٨) جريس، صبري، "تاريخ الحركة الصهيونية"، **ج ٢**، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، (١٩٨٦م).

٦٩) الحزماوي، محمد ماجد صلاح الدين، "ملكية الأراضي في فلسطين خلال عهد الانتداب"، مؤسسة الاسوار، عكا، فلسطين، (١٩٩٨م).

٧٠) خلة، كامل خلة، "فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ – ١٩٣٩م"، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، بيروت، (١٩٧٤م).

٧١) الدباغ، مصطفى مراد، "بلادنا فلسطين"، ج١٠، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (١٩٧٢م).

٧٢) رافق، عبد الكريم، *فلسطين في عهد العثمانين* (٢) *من مطلع القرن الثالث عشر / التاسع عشر الميلادي الى عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م*، الموسوعة الفلسطينية، **ج ٢**، بيروت، لبنان، (١٩٩١م).

٧٣) شولش، الكزاندر، "تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢"، ترجمة الدكتور كامل جميل العسلي، الجامعة الأردنية، عمان الأردن، (١٩٨٨م).

٧٤) قاسمية، خيرية، "النشاط الصهيوني في المشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨م"، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، لبنان، (١٩٧٣م).

٧٥) العارف، عارف، "المفصل في تاريخ القدس"، مكتبة الأندلس، القدس، فلسطين، (١٩٩٦م).

٧٦) العارف، عارف، "نكبة فلسطين والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥٢"، إصدار دار الهدى، (١٩٥٦م).

٧٧) عبد القادر، حسن، "الاوضاع الديموغرافية للشعب الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية"، بيروت، لبنان، **ق١، م١**، (١٩٩٠م).

٧٨) عوض، عبد العزيز محمد، "الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤-١٩١٤"، دار المعارف، القاهرة، مصر، (١٩٦٩م).

٧٩) عوض، عبد العزيز محمد، "مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث١٨٣١-١٩١٤"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (١٩٨٣م).

٨٠) غنايم، زهير عبد اللطيف، "لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٢٨١ -١٣٣٧هـ/١٨٦٤ -١٩١٨م"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، (١٩٩٩م).

٨١) "وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ – ١٩٣٩م"، جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، (١٩٨٨م).

٨٢) ولترلين، زاوري ديفز، "الصندوق القومي اليهودي"، ترجمة محمد زايد، ورضوان مولودي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جامعة الكويت، الكويت، بيروت، لبنان، (١٩٩٩م).